obeikan.com

كروتوبتكا

كروتوبتكا
مجموعة قصصية
روماني أرميس
الطبعة الأولي .. ٢٠١٧

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠٠٢٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
E-mail: dar_el٧elm@hotmail.com
المدير العام : د: إسلام فتحي
تصميم الغلاف : محمد عبد السلام
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع :٢٠١٧/٢٨٩٩
رقم الترقيم الدولي :978-977-798-056-2

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

كروتوبتكا

قصص

رومانى أرميس

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

الى أميرتى الصغيرة .. أختى هايدى
ابتسامتك فقط تكفينى دافعا للنجاح .

obeikan.com

obeikan.com

تمهيد

خذ حذرك .. بقدر الإمكان خذ حذرك .. فالأمور هنا لن تسير على نفس الوتيرة.. فلو عدت للمنزل وقد إختفت زوجتك .. ستتلقى على صدرك دفقة من الأشعة الحارقة من ذلك السلاح العجيب .. وإن نجوت ستجد من يهتم بخلع أظافرك بعنف .. وإن خرجت من تلك السيارة المقلوبة على المنحدر الصخري .. فعُد إلى منزلك مُسرعاً فور أن تراها بملابس سوداء .. وإن قابلت ذلك الطفل الصغير الخارق أيقظه من نومه فوراً .. رغم أن بابانويل لا يأتي إلا وهو نائم .. وبعد أن تنتهى من اجتماع الكائنات الفضائية .. ضع ذلك النيشان في كفن وادفنه .. وإذهب بعيداً عن موكب رئيس الجمهورية .. لأن نشرة أخبار الليلة بدون مذيع.. ولأنك حاولت التلصص عليها وهى ترتدى المايوه .. فالفتنة الطائفية إشتعلت في الحارة .. أما شـــــعورك وأنت تقابل عاهرتان في كتاب واحد فأخبرني به سريعاً ..

عموماً .. صدقني .. هنا .. لا تسير الأمور على ما يرام ..

رومانى

obeikan.com

obeikan.com

الذى يصنع المعجزات

الحياه ليست فقط ما نراه ، لأن ما لا نراه أكثر !!

obeikan.com

obeikan.com

ضغطت قدمى على دواسة الوقود بقوة وعصبية ، فأطلق محرك السيارة هدير قوى ، وكأنه يعلن مع مؤشر السرعات أمامى ، أن السيارة قد وصلت الى سرعتها القصوى .. فأعلنت السيارة هذا أيضاً ، عندما راحت تنهب الطريق نهباً ، وهى تلتهم بسرعة وشراهة تلك الكيلومترات المتبقية ، والتى تفصلنى عن مدينة (شرم الشيخ) ، التى أقصدها اليوم ..

كانت عصبيتى قد وصلت لذروتها ، خاصةً مع السرعة العالية ، وذلك الطريق الصحراوى ، الذى إمتد أمامى بلا نهاية ، خالياً مقفراً ، إلا من بعض السيارات التى تمر بسرعة بجانبى بين الحين والأخر ، وتلك الجبال العالية والصخور المتناثرة بلا نظام ، على يمين الطريق ويساره ..

كل هذا بالإضافة الى الشمس الحارقة ، والتى تتوسط السماء ، فى هذه الساعة من الظهيرة ، ملقيةً أشعتها ونيرانها على الطريق والصخور والجبال، مما جعل الطريق يتراقص بذلك السراب ، الذى أراه أمامى ، والجو من حولى يصل الى درجة الغليان..

إلا أن هذا كله ، لم يكن هو السبب الرئيسى ، فى تلك العصبية التى سيطرت علىّ ، وذلك الغضب الذى ملك كيانى كله ، والذى جعل أعماقى تغلى بدرجة أكثر التهاباً من ذلك الجو الحارق حولي ..

بالفعل كانت اعماقى فى جحيم من الأفكار المتداخلة والعواطف المتضاربة، إلى ذلك الحد الذى جعلنى أترك كل شيء ، وأتجه الى (شرم الشيخ) كعادتى كى اهدأ ، وأحاول اعادة ترتيب أفكارى ، والتخلص من ذلك التوتر الذى يمزقنى ، والذى بدا من الواضح

انـه سـيرافقني هنـاك أيضـاً ..
وهـذا أخـر مـا أحتاجـه الآن ، وبعـد كل مـا حـدث ، وكل مـا أعانيـه مـن اشـتياقى لهـا ، ولهفتـى عليهـا ، وذلـك الـــــــ.....
انتفضـت عندمـا دوى رنـين هاتفـى المحمـول ، بتلك الأغنية الرومانسـية ، التـى اختارتهـا هـى بنفسـها كى تكـون النغمـة المخصصـة لهـا عنـد اتصالهـا بى، فأمسـكت الهاتـف ونظـرت أسـمها وصورتهـا عـلى الشاشـة ، فتنهـدت بقـوة ، وأنـا أضعـه أمامـى، مقاومـاً بشـدة رغبتـى فى الـرد عليهـا ، وسـماع صوتهـا الـذى أشـتاق اليـه منـذ أسـبوع كامـل ..
وصمـت الهاتـف تمامـاً، وأنـا أتخيـل حالتهـا الآن ، وبعـد عـدم ردى عليهـا طـوال الفـترة الماضيـة..
أكاد أتخيلهـا وهـى تجلـس وحيـدة .. حزينـة .. حائـرة ، تتسـاقط تلـك العـبرات الرقيقـة مـن عينيهـا في صمـت ، حتـى لا يشـعر بهـا أحـد ممـن حولهـا ..
هكذا هي دائماً..
وخصوصـاً منـذ عـشرة أيـام ، منـذ بـدأت العلاقـة تتوتـر بيننـا ، بسـبب ذلـك التـصرف الـذى فعلتـه هـى ، والـذى جعلنـى أشـعر بإهانـة بالغـة ، وجُـرح لا يندمـل ابـداً ..
صحيـح أنى أحبهـا بالفعـل وأعشـقها بـكل ذرة فى كيـانى ، إلا أن كرامتـى ـ بالنسـبة لى ـ هـى قُـدس أقـداس حيـاتى ، الـذى لا ينبغـى المسـاس بـه أو الاقـتراب منـه أبـداً ..
وهى أهانت كرامتي وكبريائي بشدة ..
صحيـح أنهـا فعلـت مـا فعلـت دون عمـدٍ أو قصـد ، وصحيـح انهـا المـرة الأولى ، التـى تفعـل فيهـا هـذا ، وصحيـح أيضـاً أنهـا ظلـت تبـكى وتعتـذر طـوال الأيـام الماضيـة ، حتـى بعـد أن قـررت ألا أرد عـلى

اتصالاتها منذ اسبوعٍ كامل ..
ألا أننى قد اخذت القرار النهائى ، الذى لا رجعة فيه .. لن أعود إليها ..
التقطت صورتها المعلقة على المرآه الأمامية للسيارة ، وألقيتها على التابلوه بإهمال أعلم أنه كاذب ..
دوى صوت الهاتف المحمول مرةً أخرى لينتزعني من أفكارى ، فتركته حتى صمت تماماً ، مع علمى أنها لن تكف عن محاولات الاتصال بى ، رغم أنى طلبت منها أن تتوقف ، لأن كل هذا لن يجدى نفعاً ..
قالت لى ساعتها ـ وهى تبكى ـ انها لن تتخلى عنى أبداً ، ولا عن ذلك الحب الذى يربط بيننا .. فأخبرتها أن عودتى لها هى المستحيل بعينه .. قالت لى أن الحب يصنع المعجزات .. فأكدت لها أن استمرارنا سوياً، يحتاج لمعجزه تفوق كل المعجزات، وزمن المعجزات قد انتهى..
ثم أن المسألة مسألة مبدأ .. وكبرياء .. وكرامة ، ولا تهاون عندى فى مثل هذه الأشياء أبداً ، حتى لو كان الـــــ....
فجأة وبلا مقدمات اندفعت أمامى تلك المرأة !..
كانت تجرى بذعر ، وتوقفت أمام السيارة ، فضغطت على الفرامل بقوة ، معتصراً عجلة القيادة بكلتا راحتىّ ، فتوقفت السيارة على بعد سنتيمترات قليلة منها ، مثيرة حولى وحولها عاصفة من الأتربة والغبار ..
أما أنا فقد زفرت بتوتر ، وقد خيل لى أنى قد صدمتها بالفعل ، أثناء توقفى إلا أنها اقتربت بسرعة ناحية الباب الذى فتحته أنا ، ونزلت من السيارة أسألها بتوتر :

ـ أأنتِ بخير ؟!..
اقتربت هى ووقفت على بعد متراً واحداً منى ، وفور أن توقفت أمامى اقشعر جسدى بأكمله ، لدرجة جعلتنى أشعر بالألم بالفعل.. ربما حدث ذلك بسبب ذلك الذعر الذى يرتسم على ملامحها ، ويملأ عينيها الرائعتين ، والذى أضاف إلى توترى عدوىَ توترها هى..
«أرجوك انقذني»
هتفت هى بهذه العبارة برعب بلا حدود ، فقلت لها بتوتر :
ـ ماذا هناك يا سيدتي ؟!..
فقالت بصوت مرتجف :
ـ أرجوك أنقذ زوجي..
فأغلقت باب السيارة ، وهتفت أنا :
ـ ماذا به ؟..
فردت وهى تنتفض بشدة ، مشيرةً بأصبعها الى منحدر صخرى قريب :
ـ لقد انقلبت بنا السيارة هناك ، وحالته خطرة للغاية و.....
تحشرج صوتها بشدة وقالت بتوسل :
ـ أرجوك افعل شيئاً..
فشعرت بتعاطف بالغ معها، ومع ذعرها على زوجها، فطمأنتها قائلاً:
ـ لا تخافين يا سيدتي.. فأنا طبيب ..
وبسرعة تحركت أنا، وفتحت خلفية السيارة وأخذت حقيبة الإسعافات الأولية، التي أحملها معي دائماً تحسباً لتلك الظروف، وقلت:

ـ هيا بنا ..
سارت هى أمامى بسرعة ناحية ذلك المنحدر الصخري ، وهى تقول بصوتها الخائف الحزين :
ـ إنها معجزة بالفعل أن أوقفك أنت تحديداً لتنقذ زوجي ، وتكون طبيباً ..
فأجبتها وأنا أسير خلفها مسرعاً :
ـ حمداً لله .. وبإذن الله سيكون زوجكِ على ما يرام..
فتنهدت هي وقالت بصوتٍ دامع :
ـ يا رب ..
كانت تنزل المنحدر الصخرى بسرعة وخفه عجيبتين ، أما أنا فرحت أتعثر بين الصخور والأحجار في ذلك المنحدر الصعب ، تنزلق قدمي مرةً وأغرس أصابع يدي بين الأحجار والتراب مرةً ، وأنا أنظر اليها ..
كانت شابه جميلة فى منتصف العشرينات من عمرها تقريباً ، لها جسداً يميل الى النحافة وان كان بالغ التناسق ، وتمتلك وجهاً رائعاً، يُخيل لى أنه يشع نوراً بالفعل مع ملامحها الملائكية ، وترتدى ملابس بسيطة وأنيقة ، تبدو فيها بغاية التأنق ، حتى أن من يراها لن يصدق أبداً ، انها خرجت للتو من حادث انقلاب سيارة..
هذا بالإضافة الى جاذبيتها ورقتها ، وشيئاً أخر فيها لا أفهمه ..
«ها هو»
كنا قد وصلنا الى مكان الحادث ، عندما هتفت هى بكلمتها وهى تشير إلى زوجها ، الملقى أرضاً غارقاً فى دمائه ، وعلى بعد ثلاثة أمتار منه ، السيارة مقلوبة على سقفها بعنف ، ومقدمتها منسحقة تماماً على صخرة عملاقة ..

يبـدو أنهـا سـقطت عـلى المنحـدر، وانقلبـت أكـثر مـن مـرة، وأثنـاء ذلـك اصطدمـت بتلـك الصخـرة الضخمـة، فتحطمـت مقدمتهـا بتلـك الصـورة الرهيبـة !..

فقلت وأنا أقترب من المُصاب :

ـ انهـا العنايـة الإلهيـة التـي أخرجتـكِ يـا سـيدتي ، مـن هـذه الحادثـة البشـعة !!..

فأجابت وهى تقف بعيداً مرتجفة :

ـ نعم .. لأن العناية الإلهية أرادت نجاته ..

وصلـت أنـا في هـذه اللحظـة الى زوجهـا المصـاب ، وفـور أن رأيتـه غمغمـت :

ـ يا إلهى !..

فحالته كانت خطيرة للغاية ..

كان ذلـك الشـاب غارقـاً فى دمائـه التـي تنـزف مـن أنفـه وفمـه وصـدره وجبهتـه، وكـما يبـدو أن مرفقـه قـد أنكـسر بعنـف ، ومـن الواضـح أن هنـاك إصابـات غـير ظاهـرة ..

كانـت الحالـة متأخـرة للغايـة ، إلا إننـى فضلـت عـدم اخبارهـا لأنهـا مُنهـارة بالفعـل ، فنظـرت لهـا محـاولا النطـق بـأى كلمـة تطمئنهـا ، لكننـى وفـور أن رأيـت تلـك النظـرة التـى تنظـر بهـا لزوجهـا ، توقفـت الكلـمات عـلى لسـاني ..

كانـت تبـكى فى صمـت وتضـع يدهـا عـلى فمهـا ، وهـى تنظـر إليـه نظـرة أقـل مـا يقـال عنهـا انهـا رائعـة .. نظـرة امـرأة تُحـب .. بـل تعشـق .. وبـكل كيانهـا.. نظـرة جعلـت قلبـى يخفـق بعنـف ، وأنـا أتذكـر نظـرة أخـرى أفتقدتهـا ..

نظرة حبيبتى ..

obeikan.com

لكنـى رفضـت الآن خـراط فى مشـاعرى فى مثـل هـذه الظـروف ، وقاومـت تلـك الدمعـة التـى تحـاول الهـرب خـارج أجفـانى وأنـا أقـول :

ـ في الحقيقة يجب أن نأخذه لأقرب مستشفى الآن ..

ثم استدركت بسرعة :

ـ لكنـى لسـت أعلـم أيـن أقـرب مستشـفى هنـا ، بالإضافـة الى اننـا فى حاجـه لسـيارة إسـعاف مجهـزة لأن حالتـه خطـــــ.....

قطعـت جملتـى بسرعـة قبـل أن أكملهـا ، رأفـة بحـال تلـك المسـكينة التـى كانـت تمـوت قبـل زوجهـا وألتفـت اليهـا ، بعـد أن تحسسـت جيـوبى ، وتذكـرت أن هاتفـى المحمـول فى السـيارة ، فقلـت لهـا :

ـ أعطيني هاتفك المحمول كي أتصل بالإسعاف ..

فأجابت وسط دموعها :

ـ هاتفي وهاتفه كانا على تابلوه السيارة ..

فهممت ذاهباً للسيارة لكنها أوقفتنى بسرعة بقولها :

ـ وقد تحطما في الحادث ..

فألقيـت نظـرة سريعـة عـلى السـيارة التـي لم تعـد سـيارة، ثـم أسرعـت قائلاً :

ـ سأذهب لإحضار هاتفي من سيارتي ..

وانطلقـت بسرعـة متسـلقاً ذلـك المنحـدر الصخـري بيـديَ وقدمـيَ كـما نزلـت ، حتـى وصلـت للطريـق وأنـا أتصبـب عرقـاً ، وركضـت ناحيـة سـيارتى والتقطـت الهاتـف بسرعـة ، وطلبـت رقـم الإسـعاف وأنـا ألتقـط أنفـاسى بصعوبـة فى هـذا الجـو المشـتعل ..

وفـور أن رد أحدهـم عـلى الطـرف الأخـر ، أخبرتـه بذلـك المـكان الـذى نحـن فيـه، ومـن حسـن الحـظ كانـت هنـاك لافتـه إعلانيـة قريبـة تميـز المـكان والموقـع ، وطلبـت منهـم سرعـة الحضـور بسـيارة إسـعاف

opeikan.com

مجهـزة ، لخطـورة الحالـة التـي بـين يـدىَ بصفتـي طبيـب ، فأخـبروني أن هنـاك نقطـة اسـعاف قريبـة مـن هنـا ، سـتحضر منهـا سـيارة إسـعاف خـلال دقائـق ..

زفـرت بارتيـاح وعـدت بسرعـة للمصـاب وزوجتـه، وجدتهـا تقـف مكانهـا تبـكى، فأمسـكت أنـا بيـد زوجهـا لقيـاس نبضـه، وقلـت لهـا:

ـ القدر يقف بجانبِك ، ستكون سيارة الإسعاف هنا خلال دقائق ..

ازداد صـوت بكائهـا الحزيـن ، فى حـين قلـت لهـا محـاولاً التخفيـف عنهـا :

ـ هل أنتما متزوجان حديثاً ؟..

فأومأت برأسها ايجاباً ، وهى تقول وسط دموعها :

ـ منذ ثلاثة أيام فقط ..

فشـعرت بدهشـة بالغـة وحـزن بـلا حـدود ، مـن تلـك الفرحـة التـى لم تكتمـل وذلـك الحـب الـذى اصطبـغ بلـون الـدم ..

أما هى فقد تقدمت خطوتين للأمام وهى تقول بحسرة :

ـ كنـا فى طريقنـا لقضـاء أسـبوعاً فى (شرم الشـيخ) كـما كنـا متفقـين قبـل زواجنـا لكـن.....

أزداد بكائها وهى تكمل :

ـ لكن القدر لم يمهلنا حتى فرصة الوصول إلى هناك..

دموعهـا عجيبـة .. حقـاً دموعهـا قويـة ومُعديـه حتـى انى لم أجـد أنـا مفـراً مـن تلـك الدمـوع التـى مـلأت عينـىَ ، سـوى أن أصطنـع التفاؤل، قائـلاً :

ـ سيتعافى بإذن الله ، وستكملان حياتكما معاً ..

واصلت هي وكأنها لم تسمعني :

ـ انـه ليـس زوجـي فقـط .. انـه حبيـب العمـر .. الحلـم الـذى كنـت

obeikan.com

أحلـم بـه لسـنوات طـوال ، ولكـن فـور أن أصبـح لى وأطمأنيـت أنى سـأقضى بقيـة حيـاتى بـين زراعيـه أنـا.....

قطعـت جملتهـا بدموعهـا الغزيـرة التـى راحـت تنهمـر بشـدة ، فالتقطـت نفسـاً عميقـاً ، وهـى تقـترب أكـثر ، فى حـين قلـت أنا مواسـياً:

ــ صدقينـى حالتـه ليسـت خطـيرة لهـذه الدرجـة ، بضعـة أيـام فقـط وسـيكون بخـير ..

أما هى فقالت باكيه :

ــ لقـد تعهدنـا أنـا وهـو ألا نفـترق أبـداً ، لكـن يبـدو أن القـدر آبى أن نفـى بذلـك العهـد ..

فاتسعت عينى ، وأنا أقول :

ــ يـا إلهـى !!!.. لمـاذا يا سـيدتى كل هـذا التشـاؤم ؟!!.. صدقينـى وبعيد عـن أى مواسـاة بـأن زوجـكِ سـينجو .. صحيـح أن علاجـه يسـتلزم بعـض الوقـت ، بـل وبعـض العمليـات الجراحيـة ، لكنـه سـينجو فى النهايـة .. المهـم أنـكِ سـتكونين بجانبـه ..

بكـت بصـوت عـالى هـذه المـرة وهـى تقـترب مـن زوجهـا ، فأقشـعر جسـدى تلـك القشـعريرة المؤلمـة عندمـا رأيتهـا تقـترب بيدهـا مـن جبينـه ، وهـى تقـول :

ــ كم أتمنى أن ألمسه الآن ..

لكنهـا تراجعـت فجـأة قبـل أن تلمسـه ، وابتعـدت وهـى تبـكى بشـدة، فلـم أسـتطيع كتـمان تلـك الدمعـة التـى انحـدرت خـارج عينـي ، خاصـة بعـد مـا رأيـت دموعهـا عـن قـرب ..

كانـت دموعهـا صادقـة للدرجـة التـي جعلتنـي أعتقـد انـه لـو رآهـا زوجهـا المصـاب ، لوقـف عـلى الفـور سـليماً معـافى لـيرى ذلـك الحـب العظيـم ، الـذى تـصرخ بـه عيـون حبيبتـه ..

opeikan.com

تلك الحبيبة التى تحمل فى قلبها له حبا بلا حدود ..
حباً جعل حروف كلماتها تبكى قبل عينيها خاصةً وهى تقول :
ــ كنت أتمنى أن أظل بجانبه طوال العمر ..
فنهضت أنا وقلت لها بإخلاص وصدق :
ــ اقسم لكِ بشرف مهنتي ، ان حالة زوجكِ ليست بهذا السوء الذى تتخيلينه ، سيتعافى وتقضيان حياتكما معاً بإذن الله ، بعيداً عن كل هذا التشاؤم الذى يملأ قلبكِ ..
نظرت الىّ والتقت عينى بعينها الغارقة في الدموع وهى تقول :
ــ أنا واثقة من انِه سيتعافى ..
انتفضت وأنا أنظر فى عينيها ، ولا أدرى لماذا تذكرت حبيبتى مرةً أخرى ، لكن بوق سيارة الإسعاف الذى ظهر فجأة انتزعني من أفكاري ، فهتفت :
ــ حمداً لله ... لقد وصلت سيارة الإسعاف ..
فغمغمت هى بخفوت :
ــ الحمد لله ..
ولأول مرة أرى ابتسامتها الرقيقة ، عندما قالت وهى تنظر بحنان لزوجها :
ــ كم أتمنى أن أتحدث معه وأخبره بكل ما حدث هنا على الطريق ..
فأومأت برأسى فى صمت ، فأكملت وهى تنظر أرضاً فى خجل حزين :
ــ كثيراً ما عجزت عن وصف مشاعرى نحوه ..
ورفعت عينيها لى وهى تقول بخجل :
ــ هل يمكنك أن تخبره كم أحبه ؟..

pelikan.com

فابتسمت أنا قائلاً :
ــ بالطبع سأخبره انى رأيت أعظم زوجة تحبه حباً يُعتبر معجزة هذه الأيام..
وصلت سيارة الإسعاف فى هذه اللحظة ، ووقفت على الطريق عند حافة المنحدر ومعها سيارة شرطة توقفت بجانبها ، فزفرت أنا بارتياح بينما اقتربت هي خلفي وقالت :
ــ صدقنى .. الحب هو الذى يصنع المعجزات ..
أقشعر جسدى بألم شديد فور أن قالت جملتها .. فهى نفس الجملة التى قالتها حبيبتى حين كانت تحاول الاعتذار !..
أما هى فبعدما قالتها انزوت خلفى فى صمت وجلست على صخرة كبيرة ، فألتفت إليها فى صمت أيضاً ، ثم نظرت لرجال الإسعاف والشرطة ولوحت لهم بيدى ، فنزل عبر المنحدر ضابط صغير السن مع طبيب الإسعاف ، ومعه ممرضان يحملان تلك المحفة التى سينقلان عليها المريض ..
وعلى الفور أنحنى الطبيب على المصاب ، وبدأ الرجلان فى حمله بحرص ، ونقله لسيارة الإسعاف ، بينما صافحنى الضابط وهم بقول شيء ما ، إلا أنه وفور أن رأى السيارة المقلوبة ، ارتسم انزعاج بالغ على وجهه ، واتجه إليها على الفور ودار حولها ، لينظر بداخلها ، بعد أن أصبحت مجرد حطام ..
ومن خلفها أشار إلى طبيب الإسعاف ، الذى إتجه إليه على الفور ، وتحدثا معاً حديث قصير ، بعده هتف طبيب الإسعاف باسم أحد رجاله ، ثم أشار له بإصبعيه السبابة والوسطى ، قائلاً :
ــ أحضروا الثانية ..
ثم جائنى الضابط زافراً فى توتر ، وهو يلقى نظرة أخرى على

السـيارة ، ثـم قـال :
ـ من الواضح انها كانت حادثة بشعة ..
فأومأت برأسى إيجاباً ، وأجبته :
ـ نعـم للأسـف .. فالسـيارة سـقطت مـن المنحـدر ، وانقلبـت أكـثر مـن مـرة ثـم تحطمـت تمامـاً ..
فقال هو مفكراً :
ـ لكنى أستبعد تماماً وجود شبهة جنائية فى هذا الحادث ..
فأجبته باقتناع تام :
ـ لا .. لم يكن هناك أى شبهة فى ذلك .. انها حادثة طريق عادية ..
فهز رأسه ، وهو يقول :
ـ مـن حسـن حـظ ذلـك المصـاب أنـك اتصلـت بالإسـعاف فى الوقـت المناسـب ..
فغمغمت أنا :
ـ حمداً لله ..
فوضع قبعته فوق رأسه وهو يقول :
ـ عـلى أي حـال سـوف نحتاجـك معنـا ، لنأخـذ أقوالـك بخصـوص الحـادث ..
فأومأت برأسى بسرعة فقال الضابط وهو يلتقط نفساً عميقاً :
ـ حسناً .. سننصرف الآن .. لقد أخرجوا الجثة من السيارة ..
انتبهت أنا فى هذه اللحظة وسألت :
ـ جثة !!!.. أية جثة ؟!..
فأشار إلى السيارة وقال بدهشة :
ـ الجثة التى كانت فى السيارة ..
فالتفـت إلى السـيارة ووجـدت رجـال الاسـعاف مـع الطبيـب خلفهـا ،

obeikan.com

يخرجون جثة على المحفة الثانية ، التى أمرهم الطبيب بإحضارها منذ قليل ، ووسط دهشتى إلتفت خلفى بسرعة وأنا أهتف متسائلاً :

ـ لم تخبرينى يا سيدتى أن هناك جثة فى الســـــــــ.....

قطعت جملتى عندما بحثت بعينى عن زوجة المصاب ، عند تلك الصخرة التى كانت تجلس عليها ، ثم درت حول نفسى دورة كاملة وأنا أغمغم :

ـ أين ذهبت ؟!!..

فسألني الضابط بدهشة قائلاً :

ـ عمن تبحث يا دكتور ؟!!..

فقلت وأنا ما زلت أبحث حولى :

ـ أين ذهبت تلك المرأة ؟!!..

فتسائل الضابط بذهول أكبر قائلاً :

ـ أية امرأة يا دكتور ؟!!..

فأشرت الى الصخرة التى كانت تجلس عليها ، وأنا أقول بأنفاس متلاحقة :

ـ المرأة التى كانت تجلس عند تلك الصخرة عندما جئتم الى هنا..

فعقد الضابط حاجبيه فى حيرة وهو يقول :

ـ امرأة !!.. صخرة !!... لم تكن هناك أية امرأة أو أى أحداً سواك أنت والمصاب عندما جئنا الى هنا !..

اتسعت عينى بذهول وكدت أنطق بشيء ما ، إلا أنه فى هذه اللحظة مر أمامى رجلى الإسعاف ، وهم يحملون المحفة وعليها تلك الجثة التى كانت فى السيارة ، والتى لم أكد ألقى نظرة على وجهها ، حتى تراجعت بهلع وأنا أطلق صرخة مكتومة تحمل كل

obeikan.com

ذهـول الدنيـا !!..

وفى تلك اللحظة أقترب طبيب الإسعاف من الضابط وقال بأسى:

ــ يبـدو أنهـا زوجـة المصـاب .. لكـن المسـكينة لم تتحمل ، وقد اسـتقبل جسـدها معظـم الصدمـات فانكـسرت رقبتهـا عـلى الفـور وماتـت منـذ البداية ..

وهنا تحررت منى تلك الصرخة ..

تحـررت وانطلقـت وأنـا أقـترب مـن الجثـة التـى يحملهـا رجـال الاسـعاف ..

وانتفض قلبي .. وانتفض ..

إنها هى ..

هـــــى ..

هـى التـى قابلتنـى عـلى الطريـق وأتـت بى إلى هنـا لتنقـذ زوجهـا وحبيبهـا .. هـي التـي تكلمـت معـي وتكلمـت معهـا ، ورأيـت دموعهـا وهـى تبـكى .. هـي السـبب الحقيقـي وراء انقـاذ ذلـك المصـاب وليـس أنـا ..

نفـس الوجـه الجميـل الملائـكى رغـم أن الدمـاء تغطيـه بالكامـل .. نفـس الملابـس البسـيطة الآنيقـة رغـم انهـا تمزقـت واصطبغـت بلـون الـدم .. والعيـون الصافيـة الرقيقـة رغـم أنهـا فقـدت بريـق الحيـاة.. فكيف ذلك ؟!!..

كيف ؟!!..

وهنـا اقـترب منـى الضابـط وقـد لاحـظ أنى أنتفـض بشـدة ، وسـألنى بقلـق :

ــ ماذا هناك يا دكتور ؟!!..

فقلت أنا وسط دموعي بكلمات متخبطة وحروف متلعثمة :

obeikan.com

ـ كيف .. كيف ذلك ؟!.. انها هى .. هي.. انها هى التى ..
لكنى صمت تماماً ..
صمت وعقلى يومض بومضات سريعة كشفت لى أشياء لم ألتفت إليها فى حينها ولم أفهمها..
ظهورها أمامى على الطريق وتجاوز مقدمة السيارة لجسدها حتى خيل لى أنى صدمتها بالفعل .. سرعة هبوطها للمنحدر الوعر وكأن قدميها لا تلامس الأرض .. وجهها الرائع وأناقتها البالغة رغم وقوع الحادث .. منعى من بلوغ السيارة لإحضار هاتفها ..
تلك القشعريرة المؤلمة التى كانت تصيبنى كلما اقتربت منى..
ترددها فى لمسه زوجها رغم اشتياقها لذلك .. ذلك الحزن فى كلماتها التى كانت تؤكد على الوداع والفراق ..
وطلبها الأخير والعجيب ..
وبينما كنت أقود سيارتى خلف عربتى الإسعاف والشرطة ، كنت غارقاً فى الصمت ..
صمت ملئ بالدموع .. والذهول.. والخشوع ..
الخشوع أمام إرادة الله ..
وأمام تلك المعجزة التى تفوق كل المعجزات ، والتى تسمو فوق كل إدراك وكل عقل ، وأمام ذلك الحب الذى ربط بين قلبها وقلب حبيبها للدرجة التى جعلت روحها تحيط به كالملاك الحارس ، ولم تمضى إلا بعد أن تأكدت من نجاته فى معجزة لن أنساها مهما عشت ومهما رأيت !..
ويجب ألا أنسى أبداً مطلبها الأخير وأخبر زوجها بما قالت بعد أن يتعافى ويكتشف انه قد خسر أغلى أحبائه، في غفلة من الزمان..
أما الآن .. فكل ما أريده هو شيئاً واحداً ..

التقطت صورة حبيبتى التى القيتها على التابلوه ، وعلقتها في المرآه الأمامية كما كانت ..
سأعود اليها ..
سأخبرها أنى سامحتها على كل شيء ، وسأطلب منها أن تسامحني على قسوتي .. سأحكى لها كل ما حدث هنا على الطريق .. وسأخبرها أنى لن أتخلى عنها أبداً ، ولا عن ذلك الحب الذى يربط بيننا ..
ذلك الحب الذى يصنع المعجزات .. كل المعجزات .

***

obeikan.com

بالروح .. بالدم

انصت قبل أن يكون لا قيمة للإنصات !!

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس جمهورية مصر العربية ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تحية طيبة وبعد ..

ربما تتساءل سيادتك عن ذلك السبب ، الذى يدفع أحد مواطنيك إلى إرسال خطاب خاص إليك ، وتخطى التدرج الوظيفى المتعارف عليه فى كل النُظم الإدارية ، وربما لن تعير خطابى هذا أى اهتمام ، ولست أستبعد أيضاً ألا تصل كلماتى إلى يدك أبداً ، لكنى فى كل الأحوال فضلت الكتابة على الصمت، وفضلت التحذير كى لا أكون سلبياً ، وحتى أستطيع بضمير مستريح أن أقول «اللهم قد بلغت اللهم فاشهد» ..

وسامحنى سيادة الرئيس فلست بليغاً فى اللغة العربية ، ولست شاعراً ، حتى لا تتوقع منى نفاقاً أو تملقاً ، أو أبياتاً من الشعر أتغزل من خلالها فى حكمك أو عهدك أو إنجازاتك ، وحتى لن أخاطب سيادتك بصيغة الجمع لزوم التفخيم والتعظيم ، فالعظمة لله وحده ..

لكنى فى كل الأحوال لن أخل بقواعد الاحترام والذوق لأن هذا هو ما تربيت عليه فى بيتى ، وما لقننى إياه أبى .. وسأبدأ خطابى سريعاً مراعاةً لوقتك بسؤال ربما تراه غريباً ، لكنى أظن أنك تعلم إجابته جيداً ..

هـل تتذكـر مـن أنـا يـا سـيادة الرئيـس ؟.. ربمـا لـو رأيتنـى تتذكـرنى جيـداً .. لأننـا تقابلنـا مـرة مـن قبـل .. سـأُذكرك بهـا الآن..

هـل تتذكـر يـا سـيادة الرئيـس ، يـوم السـادس والعشريـن مـن يونيـو عـام ألـف وتسـع مائـه وخمسـة وتسـعين ؟.. لابـد وأن التوتـر قـد أصابـك الآن.. أعلـم أن كل جسـدك تنتابـه إرتعاشـة غـير محببـة إلى نفسـك مـع تلـك الذكـرى القاسـية ..

فى ذلـك اليـوم كنـت فى طريقـك مـن المطـار إلى محـل إقامتـك ، فى تلـك العاصمـة الأفريقيـة ، مـع كل الرؤسـاء الافارقـة لحضـور القمـة الإفريقيـة المقامـة هنـاك وقتهـا ، وقـد كنـت تمثـل بلادنـا كرئيـس شرعـى للبـلاد ..

وقتهـا يـا سـيادة الرئيـس ظهـر أولئـك أمـام سـيارتك ، مطلقـين الرصاصـات بسـخاء، قاصديـن النيـل منـك وسـفك دمـك ، فتصـدى حراسـك لتلـك المحاولـة بمنتهـى القـوة ، وقضـوا عـلى الإرهابيـين فى ثـوانى معـدودة ، ليعلـم الجميـع وقتهـا أن عنايـة اللـه ، شـاءت نجاتـك وعودتـك إلى بلـدك سـالماً ، وسـط فرحـة الشـعب الـذى كان مخططـاً له أن يحيـا اغتيـال رئيسـه مرتـين متتاليتـين ..

واهتـز المجتمـع الـدولى بأكملـه ، وجـاءت التهـانى مـن الـدول الصديقـة ، و مـن تلـك التـى تتظاهـر أنهـا صديقـة ، ووقعـت العقوبـات عـلى الدولـة التـى ثبـت تورطهـا فى الأمـر ، لكـن الشـعب كلـه لم تكـن تعنيـه سـوى نجاتـك ، ولم يكـن ينتظـر سـوى تلـك اللحظـة التـى تعـود فيهـا لأرض الوطـن ..

ثـم عـدت أنـت يـا سـيادة الرئيـس ، والتقيـت القـادة والحكومـة ورجـال الديـن ، لكنـك أبـداً لم تنـسى أن تطمـئن شـعبك الـذى توحـد خلفـك ، فنزلـت بموكبـك تطـوف شـوارع العاصمـة ، وسـط مظاهـرة

حـب شـعبية ، قلـما يفـوز بهـا رئيـس دولـة ..
وهنـا .. وفى ذلـك اليـوم سـيادة الرئيـس .. كان اللقـاء .. كان لقـائى بـك للمـرة الأولى وربمـا الأخـيرة .. كنـت هنـاك سـيادة الرئيـس .. كنـت أنا فى الصـف الأول عـلى يمـين الموكـب .. مرتديـاً بنطـالاً أسـود وقميصـاً ذات لـون سـماوى ، وهـو أكـثر الأطقـم عنـدى قيمـة وقتهـا لذلـك كنـت أدخـره دائمـا للمناسـبات الخاصـة ..
هـل تذكرتنـى الآن ؟!.. مهـلاً يـا سـيادة الرئيـس .. أعلـم أنـك تفكـر الآن أنـك تقـرأ كلـمات أحـد المخابيـل ، وأنـك تظـن أنى أحـد اولائـك الذيـن فقـدوا عقولهـم ، لأنى أظـن أنـك تتذكـرنى بعـد مـرور كل هـذه السـنوات ، ووسـط كل تلـك الجمـوع الغفـيرة التـى كانـت حولـك يومهـا !!..
لا يـا سـيادة الرئيـس .. لسـت مخبـولاً ولا فاقـداً لعقلى .. ولسـت إنسـاناً تافهـاً لا أعـى مـا أقـول ، بـل هـى أفعـالى يومهـا هـى التـى جعلتنـى أعتقـد – بـل ومتأكـد- أنـه مـن المسـتحيل أن تنسـانى حتـى ولـو مـر ألـف عـام ..
لقـد كنـت يومهـا فى العشريـن مـن العمـر ، شـابا مليئـاً بالنشـاط والحـماس ، محبـاً لوطنـه وللرمـز الـذى يـرى فيـه الأمـل لمسـتقبل يظنـه عـادلاً .. وكنـت واقفـاً فى الصـف الأول أحتمـل ضغـط النـاس مـن خلفـى ، ودفعـات حراسـة الموكـب مـن الأمـام ، كى أراك وأطمـئن ان الأوغـاد لم ينولـوا منـك ومـن بـلادى، وكنـت أنظـر إليـك نظـره مليئـة بالحـب والإحـترام ، وقلبـى يخفـق بقـوة ، وصـوتى يعلـو ويعلـو ..
لقـد التقـت عينـى وعينـك للحظـة .. أنـا واثـق مـن هـذا .. كنـت سـاعتها أتقافـز بـين النـاس فرحـاً ، ملوحـاً إليـك بيـدى ، وكنـت أعلاهـم صوتـاً وأنـا أهتـف بذلـك الهتـاف الـذى كان الشـعب قـد خصـك بـه

وقتهـا ..
بالروح .. بالدم .. نفديك يا مبارك ..
بالروح .. بالدم .. نفديك يا مبارك ..
كنـا نـصرخ بهـا ، ونعنـى كل حـرف منهـا ، وخاصـة أنـا الـذى رحـت أكررهـا بجنـون ، وقـد غطـى صـوتى عـلى صـوت مـن حـولى .. وقـد أرسـلت لـك نظـره معناهـا أنى أحبـك ، وأجبتنـى أنـت بنظـرة شـكر عـلى هـذا الحـب ..
هـل علمـت سـيادة الرئيـس لمـاذا أعتقـد أنـك لابـد وان تتذكـر ذلـك الشـاب الصغير ، الـذى كان يـصرخ ويتقافـز أمامـك ، ولم يكـن يطلـب شـيئاً ، سـوى أن يبـدى فرحتـه الصادقـة بنجاتـك ..
المهـم أنهـا مسـألة ثـوانى وانتهـى اللقـاء ، وعـدت إلى منـزلى الفقـير يومهـا منتشـيا فرحـاً ، لأنى رأيـت فرحـة النـاس واضحـة جليـة فى عيونهـم ، وبعدهـا بعـام تقريبـاً كنـت أسـتعد لامتحانـات العـام النهـائي لى كجامعـى ، لأبـدأ حيـاه عمليـة قـد أسـتطيع مـن خلالهـا إفـادة بلـدى، وتغيـير مسـتوى عائلتـى المعيـشى ..
فأنـا يـا سـيادة الرئيـس شـاب أقـل مـن عـادى ، مـن أسره أقـل مـن المتوسـط يعولهـا أب كـما يقولـون «عـلى بـاب اللـه» ، وأم سـيدة منـزل، ولى أربعـة إخـوة غـيرى ، لكـن كل هـذا لم يمنـع الأب مـن الكفـاح المضنـى حتـى يضمـن لأبنـاءه مسـتوى تعليمـى حـرم منـه هـو بحكـم الظـروف ، ولم يمنـع الأم مـن أن تسـاعد زوجهـا عـلى تحقيـق هـذا الحلـم الـذى كنـت أنـا أول مشـاهده ، باعتبـارى الابـن الأكـبر..
ونجحـت وحصلـت عـلى الشـهادة الجامعيـة بامتيـاز ، وتقافـزت مـن الفـرح لأنى كنـت أحلـم بالتعيـين كمعيـد فى نفـس الكليـة ، إلا أن سـاعتها

زميلى الذى لم نكن نراه فى الجامعة أبداً ، أبن الدكتور الكبير هو الذى فاز بالوظيفة ، وفزت أنا بأول ضربة قاسية فى حياتى ، فى حين كان البعض مندهشون من صدمتى ويحاولون إقناعى بأن هذا الأمر هو الطبيعى والمعتاد فى بلادنا !!..

كانت صدمة قاسية سيادة الرئيس على شاب مثلى أجتهد وكافح، وكان ينظر بعينيه لتعب عائلته المُجهدة ، ويحلم بذلك اليوم الذى يرد لهم فيه ولو جزء صغير للغاية مما فعلوه نحوه ، لكن شعور الخزى والإحباط ساعتها كان هو سيد الموقف ، خاصة عندما رأيت أبن الأستاذ الجامعى ، وهو يدخل الجامعة بسيارته الفارهة ، كمعيد وليس كطالب ..

ابتلعت آلمى وحسرتى لكنى لم اكد أفيق من ذلك الأمر حتى بدأت مرحلة جديدة .. التجنيد الإجبارى .. ضريبة الدم كما نسميها ، والتى للأسف لم تكن كما تخيلت أو تصورت ، أنها خدمة للوطن ، وأنها الكرامة والشموخ ، لقد وجدتها الذل بأبشع صوره، وكسر النفس بأقسى الطرق ، وإعدام الشخصية ، وقتل القدرة على اتخاذ القرار ..

لم يكن هذا عيبا فى مصر ، أو جيش مصر .. وإنما هو تسلط وغطرسة من أولائك الذين يظنون أنفسهم كل الوطن وكل الجيش، وأن الأمور لن تستقيم بدونهم ..

وللأسف وللمرة الثانية أرى أبناء الكبار ذوى الدم الأزرق ، أو أقارب الكبار، او حتى من تربطهم بهم علاقة قوية ، يعاملون معاملة القادة ، ولم يكن ينقص فى توزيعهم سوى أن تأتى خدمتهم داخل غرف نومهم !!..

ساعتها راودنى شعور غريب لم أعهده فى نفسى قط .. شعور بالغربة.. سامحنى فى الكلمة يا سيادة الرئيس ، ولكنها الحقيقة التى لم أستطع كتمانها ابداً ، فقد شعرت بالفعل أن الوطن لم يعد وطناً للكل ، وإنما صار مرتعاً للكبار وأبنائهم وذويهم ، أما من هم مثلى ، فكان عليهم الآن الانصياع للأوامر ، والخضوع للقانون، والرضى بالقليل فى وطن أصبح فيه الكثير حكراً على الكبار !!.. وانتهت فترة التجنيد الإجبارى ، وبدأت فى خوض الحياة العملية ، وهى أمامى دائما .. وإن كنت تريد أن تعرف سيادة الرئيس على من يعود الضمير (هى) ، عليك أن تنظر إلى كل كائن حى يرى فى طبيعته ، النقص والوحدة، اللذان يحتاجان إلى طرف آخر تكتمل بيه الأمور ، ويصبح للحياة معنى وهدف ..

لذلك كانت هى فى حياتى ، حلماً بعيد المنال ، أراه فى نومى وإستياقظى ، ولأن قصتى هى قصة ملايين الشباب فى بلدى ، فلن أسرد تفاصيل أو أحداث لأن النهاية معروفة لكل من هم مثلى يا فخامة الرئيس ..

جاء الحرمان والوجع بسبب الفقر والاحتياج ، وكالعادة جاء ذلك الذى يمتلك ليأخذ أحلام الفقير ويحققها ويستمتع بها .. وكانت صدمة جديدة وكسرة قلب جديدة ، وأنا أنظر لذلك الراتب الذى لا يكفى إحتياجاتى الأساسية ، وأقارنه بما يحصل عليه أولائك الذين لا يشعرون بوجودى من الأساس ..

وهكـذا سـارت حيـاتى بعدهـا سـيادة الرئيـس .. ظلـم وراء ظلـم .. حرمـان بعـد حرمـان .. حتـى فقـدت الرغبـة فى الحيـاة ، وأصبحـت مجـرد ظـل لشـخص كان يمتلـك طمـوح لا محـدود ..

حتـى حـدث مـا يفـوق الخيـال بشـاعة ، والـذى كنـا نشـاهده فقـط فى أفـلام السـينما ، وعـلى شاشـات التليفزيـون ..
أخـى المسـكين الصغـير ، الـذى تكـررت قصتـى معـه فلـم يقـوى عـلى المقاومـة، واتخـذ طريقـاً يكفـل لـه النسـيان والهـروب مـن ذلـك الواقع المظلـم حولـه ، ووجـد فى الإدمـان ملجـأً يركـض إليـه كلـما رأى ظـل الظلـم يقـترب نحـوه ، أو نحـو عائلتـه ..

كنـا نحـاول صدقنـى أن نعيـده مـن ذلـك الفـخ الـذى اقتنصـه بعنـف ، لكـن ضعفـه والخـوف مـن الفشـل والفقـر والحرمـان ، جعلـه متمسـكاً بذلـك الطريـق الـذى كنـا نظـن أن الدولـة تعالـج السـائرين فيـه ، وأن عقوبـة السـجن هـى أقـصى مـا يمكـن أن ينـال أخـى ..
لكننـا اكتشـفنا وللمـرة الألـف أن السـجن لم يبنـى مـن أجـل الكبـار أو أبنـاء الكبـار ، بـل مـن أجـل الكائنـات الدُنيـا ، التـى هـى نحـن ، والقانـون أيضـا وضـع ليطبـق عـلى أنصـاف البـشر أمثالنـا ، أمـا الكبـار ذو الـدم الأزرق ، لهـم قانـون خـاص بهـم ، حتـى فى الإجـرام ..
عندمـا حـاول أخـى أن يعـود إلى رشـده ، أكتشـف أن الشرطـة تراقبـه منـذ البدايـة، وفوجـئ ان كل الأمـور انقلبـت ، وأن كل الدلائـل أصبحت تشـير إليـه بأصابـع الاتهـام ، وقامـوا بتعذيبـه فى أحـد الأقسـام التابعـة لوزيـر الداخليـة ، الـذى يقـوم بـدور الملاك الحـارس فى حياتـك سـيدى الرئيـس ..

openkan.com

أما تجار المخدرات الكبار ، والذين تحت حمايتهم ، فلم يمسهم أدنى سوء بينما يعانى أخى الأمرين على أيدى رجال الشرطة التى أصبحت وحشاً لا يرحم ، ولا تجد الرحمة إلى قلبه طريقاً .. وبعد ان اختفى فجأة ، ولم نكن نعرف عنه او عن مكانه شيئاً ،

جاءنا استدعاء رسمى ، بتسلم جثته ، التى انسابت منها الروح هاربةً إلى خالقها، بعد كل التعذيب الذى عاناه على أيدى رجالك.. هنا انهرت أنا تماما وزاد شعورى بالغربة داخل الوطن ، الذى أصبح مجرد لوحة سوداء لأولائك الذين يملكون كل شيء ، ثم وبمنتهى الجبروت يطمعون فى الفتات الساقط للكلاب الذين لا حول لهم ولا قوة ، وتحت حماية من يتقمصون دور الدفاع عن الأمن الأمان ، يسلبونهم القوت والحرية والحياة إن لزم الأمر .. وتدهور المجتمع من كثرة الظلم والقهر والفقر ، وما يزيد الغضب داخل صدرى ، هو أنى أرى حياتى تتكرر كل يوم مع ملايين غيرى ، من أولائك الذين كُتب عليهم الفقر والعناء والعبودية ، أمثالى الذين أصبحوا مجرد حجارة تتراص جنباً إلى جنب ، لتصبح طريقا يسير عليه الكبار بأقدامهم ، وهذا هو ملخص عصرك يا فخامة الرئيس ..

وها أنا بعد مرور ستة عشر عاماً من تلك اللحظة ، التى كنت أتقافز فيها فى موكب استقبالك ، لم يتغير فى شيئاً سوى أن من يرانى يظن ان العمر قد زاد بى مائة عام على الأقل ، من كثرة ما رأيت من الفشل والظلم والاحتياج..

لم أفعل شيئاً لنفسى ولا لأسرتى ولا لوطنى ، ولم يعطينى أحدهم أية فرصة لذلك ، وكل يوم أرى حصيلة حياتى وقد أصبحت على أعتاب الأربعين من عمرى ولا زوجة أو مال أو سكن أو حياة لائقة .. بل ومن سخرية القدر أنى أكتب لك خطابى هذا ، وأنا أرتدى نفس الملابس التى كنت أرتديها فى الموكب وقد بليت وبهتت ولم تعد ملابس المناسبات المفضلة بعد كل هذه السنوات !!..

أقرأ الآن أفكارك سيادة الرئيس وقد ظننت إنى أكتب لك هذا الخطاب ، من أجل الحصول على وظيفة حكومية أو مسكن او حتى إعانة مادية .. لا يا سيادة الرئيس .. فأنا لم أعد أريد شيئاً من هول ما عانيت ، وأصبحت أعلم أن هذا البلد هو من حق الكبار فقط ، وأن حصول من هم مثلى على حقوقهم ، هو درب من دروب الخيال لا أكثر .. لذلك فربما تصيبك الدهشة عندما تعلم أنى لا أريد شيئاً منك نهائياً ، وقد كتبت هذه الكلمات من أجلك أنت وحدك ..

ليتك تفيق من غفوتك ، وتنتبه إلى ما يفعله أتباعك فى وطنك .. ليتك تسد أذنيك عن حاشيتك ، الذين يتلون عليك قصائد الشعر فيك وفى حكمك وعهدك .. ليتك تلقى نظره على الوطن الراكد البائس ، الذى أصبح كبركان ثائر على وشك الآنفجار فى أى لحظة.. ألم تنتبه لانعدام الهتافات المؤيده لك ولحكمك ؟.. أم أنها لم تعد تعنيك وقد أصبحت مطمئناً إلى أن حكمك أزلى تحت حماية وزير داخليتك ، وهو حق شرعى وإرث شرعى لك ولأبنائك من بعدك .. ألم تلاحظ سيدى الرئيس أن هتاف «بالروح .. بالدم « لم يعد يدوى وأن الناس لم يعد فيها صوت للأغانى ، ولا طاقة للهتاف .. لقد

ماتت الروح والدم جف .. ماتت الروح من الفقر والعجز وقلة الحيلة ، فى وطن لم يعد يعطى إلا لمن يمتلك الكثير ..
وجف الدم من الخوف والترهيب والتعذيب ، وأصبح المواطن إن كان عليه أن يختار بين طريقين ، فى أحدهما مجرم ، وفى الأخر ضابط شرطة ، للأسف سوف يسلك الطريق التى يقطنها المجرم ، لأنه يعلم أن المجرم ربما تجد الرحمة إلى قلبه سبيلاً ..
لا تصدق حاشيتك حين يخبروك أن الأمور على ما يرام ، وأن الناس ساكنة مستكينة ، لا تستطيع الاعتراض أو الثورة ، ولا تفتح أذانك لما تريد أن تسمعه فقط ، لأن الناس بدأت تعترض ، وبدأت تكرهك ، وبدأت ترى فيك ديكتاتوراً محتلاً ، بدلا من حاكماً شرعياً . .
لم يعد فينا روحاً او دماً نعطيهما لك ، وإن وجدا فآخر ما نتمناه أن يكونا فدائك .. أحذرك يا سيادة الرئيس .. صوت المعارضين أصبح عالياً .. وانضم إليهم أغلب الشعب ، ولم يعد يؤيد وجودك سوى تلك الفئات القليلة التى تستفيد منك ، وتعلو على رقاب المطحونين مثلى ، ويتمنون أن يبقى الأمر على ما هو عليه ..
أرجوك افعل شيئاً .. لا تتأخر لأن التأخير لن يجلب سوى المزيد والمزيد من الغضب .. افعل شيئا لأن الأصوات المناديه بالإطاحة بك أصبحت تعلو وتعلو، وتكسب مؤيدين لها من كافة المظلومين، خاصة من الشباب الصغير الذى تفتحت عيونهم على الظلم والقهر وقانون الطوارئ ، والذين يسمعون قصص الطغيان والتعذيب والترهيب يومياً ..
ها قد أنهيت كلامى يا سيادة الرئيس ، وسأخاطر بحياتى وأقترب من حصنك الحصين ، وأسلم هذه الوريقات الى حرسك ، وأخبرهم أن الامر أخطر ما يكون .. وأن الخطاب يسلم ليد سيادتك فقط ..

فإن قرأت كلماتى هذه ووضعتها محل الاعتبار ، وهبطت من ذلك البرج العالى لترى الناس كم تعانى وكم تصرخ ، فقد يصنع هذا فارقاً ، وإن تجاهلت كلامى وظننت أن حرسك ووزير داخليتك قادرين على حمايتك فى ساعة الحسم ، التى أراها قادمة لا محالة ، سأكون ساعتها بريئا من ذنبك أمام الله ، ولا تلومن إلا نفسك .

يسلم ليد رئيس الجمهورية
توقيع / مواطن بلا روح أو دم
بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠١١

***

obeikan.com

obeikan.com

شارع الأحرار

حاسبني على خطيئة لا ترتكبها أنت !..

obeikan.com

obeikan.com

«فين شارع الأحرار الزفت ده ؟»
نطقت سؤالها بضجر بالغ ، وهى تتلفت حولها بتوتر ، وتتنهد فى ملل لا حدود له ، فى حين أجابها (كمال) وهو يسير أمامها بخطوات سريعة :
ــ لقد اقتربنا .. بضعة دقائق ونكون أمام المنزل ..
ظلت هى تنظر الى المنازل العشوائية ، وأكوام القمامة التى تملأ الشوارع ، بالإضافة الى الاضاءة الخافتة ، التى تجعل الشارع نموذجاً للخوف ، خاصة مع مواء القطط وعواء الكلاب وخوار تلك البقرة الضخمة المربوطة فى أحد أعمدة الإضاءة ، فارتجف جسدها وقالت بهمس خائف :
ــ لو كنت عارفه إنك ساكن فى الشوارع دى ما كنتش هوافق أجى معاك نهائي ..
وصمتت لحظة تلفتت فيها حولها ، ثم أكملت :
ــ ده حتى التاكس ماقدرش يدخل بينا جوه الحوارى دى ..
فنظر اليها (كمال) وقال بسخرية ، دون أن يتوقف عن خطواته المسرعة :
ــ محسسانى إنك جايه معايا مجاناً علشان نصور إعلان معهد الأورام ..

obeikan.com

فهزت هى رأسها وقالت بنبرة غضب مستترة :
ـ المفروض نضاعف الإتفاق بعد الطريق الطويل ده ..
فأبتسم هو وقال :
ـ إحنا بس نوصل الشارع وندخل البيت ، هخلى تعبك ده كله يروح ، ومش هتفكرى فى فلوس ولا أى حاجة تانى ، وسط الانفجارات النووية اللى هنعملها ..
مطت شفتيها فى ازدراء فى حين أكمل هو :
ـ وهخليكى تدمنى المنطقة والشارع والبيت و(أبو كمال) الونش ..
ضحكت هى هذه المرة بسخرية وقالت بتهكم :
ـ ده بالنسبة لك يا حبيبى ، لكن بالنسبة لي أول ما نخلص هتبقى مجرد واحد قضيت معاه ليلة ، ومش فاكرة حتى إسمه ..
صمتت لحظة ثم قالت متابعة حديثها أثناء سيرها :
ـ ده شغل يا حبيبى مقابل أجر ، ولو عايزنى أجى معاك تانى أهلاً وسهلاً ، لكن ساعتها الفيزيته هتزيد عشان المنطقة المهجورة دى ..
توقف هو عن السير ونظر اليها قائلاً بانزعاج :
ـ إيه الكلام المحبط ده ؟!.. إنتى هتتكلمى معايا كده لما نبقى على السرير جوه ؟!..
فرفعت حاجبيها وهى تحثه على مواصلة السير قائلة بخبث :
ـ ليه ؟.. هو أنا جايه معاك مجاناً علشان نصور إعلان معهد الأورام ..
ونظرت له نظره جانبية وتابعت :
ـ إنت زبون ومن حقك تنبسط ..
فقال (كمال) وهو يواصل سيره :

ـ متهيألى إنك زعلتى من كلامى ..
فقالت هى ببرود ساخر :
ـ أزعل ليه ده إنت كلامك بلسم ..
وبعد دقيقتين من السير الصامت السريع ، قال (كمال) بصوت لاهث :
ـ أدينا وصلنا شارع الأحرار ، دقيقة واحدة ونبقى جوه البيت ..
وبالفعل .. بعد دقيقة أو يزيد وصلا الى باب المنزل ، فأخرج (كمال) المفتاح، وشرع فى فتح الباب ، فى حين قالت هى :
ـ مش ممكن أهلك يكونوا رجعوا من السفر ؟..
فعقد هو حاجبيه وقال بثقة :
ـ هيرجعوا الساعة إتنين بعد نص الليل ؟!..
وفتح الباب ، وأشار لها بالدخول ، وقال وهو يغمز بعينيه :
ـ تعالى نكمل كلامنا جوه ..
فدخلت هى بسرعة ، ودخل هو بسرعة أكبر ، وأغلق الباب خلفهما بهدوء، فعاد لشارع الأحرار هدوئه ، إلا أن ذلك الهدوء لم يستمر طويلاً ..
فلم تكد تمر بضعة ثوانى ، حتى ظهر شابان من خلف أحد المنازل ، وتقدما ببطء وحذر ، ناحية منزل (كمال) وألصقا أذنيهما به ، ثم ابتعدا قليلاً ، وأحدهما يهمس بصوت متوتر :
ـ صدقتنى يا (عبد الرازق) ؟.
فأومأ (عبد الرازق) برأسه غاضباً ، وهو يقول :
ـ إبن الكلب علشان أهله مسافرين يقوم هو يجيب واحده من إياهم !..

فقال (هاشم) بتوتر وهو يدلك كفيه ببعضهما :
ـ منا قولتلك أنا مراقبه من أول ما سبقنى وإتفق معاها قبلى ..
فإنتبه (عبد الرازق) وهتف :
ـ إيه ؟!..
تلعثم (هاشم) وقال :
ـ قصدى إتفق معاها قدام عينى ..
فقال (عبد الرازق) وهو يتلفت حوله :
ـ طيب وإحنا هنعمل إيه دلوقتى ؟.. ولا احنا مستنيين لما يخلصوا علشان نجهزلهم الحمام ؟..
فعقد (هاشم) حاجبيه ، وأجاب بسرعة :
ـ هنكسر الباب طبعاً ، ونمنع النجاسة دى من شارعنا ، اللى طول عمره شارع مُحترم ..
ثم نظر ناحية الباب ، وقال :
ـ بس إحنا عايزين ناس معانا علشان تكون الفضيحة قدام شهود..
وفكر ثلاثة ثوانى ثم وضع كفه على كتف (عبد الرازق) وهو يقول هامساً:
ـ بص .. هاتصل أنا بـ (سيد) واتصل أنت بـ (حمدى) ، علشان يكونوا معانا وإحنا بنمسكهم متلبسين ..
فقال (عبد الرازق) بعصبية ، وهو يشير إلى منازل قريبة :
ـ وليه نتصل ؟.. نقف تحت بيوتهم وننادى ..
فقال (هاشم) :
ـ علشان ممكن (كمال) لو سمع صوتنا ، ياخد احتياطه بأي طريقة ..

obeikan.com

ولم تمضى ثوان معدودة حتى كان كل من (سيد) و (حمدى) مع (هاشم) و (عبد الرازق) أمام منزل (كمال) ، والأربعة فى حالة ثورة بالغة ..

وفى لحظة واحدة راح الأربعة يطرقون على الباب بمنتهى العنف والقوة ، وهم يصرخون بالشتائم والسباب ، والتهديد والوعيد ، فبدأت نوافذ بيوت الشارع تتفتح ، والأضواء تظهر خلفها ، فى حين بدأ الشباب الأربعة الثائرين فى دفع الباب بأجسادهم ، ولم يكد الباب الخشبى المتهالك يتلقى بضعة ضربات حتى انفتح على مصراعيه ..

وبمجرد أن انفتح الباب ، دخل الأربعة بسرعة ، وقد تملكت منهم ثورتهم ، وغيرتهم على شرفهم ، وشرف الشارع الذى يسكنون فيه، واندفعوا الى غرفة (كمال) ، الا (كمال) نفسه كان مختبئا خلف الباب ، وبمجرد أن دخل الأربعة، خرج هو بسرعة من خلفهم الى الشارع ، وأخذ يركض بكل قوته ، وبكل ذلك الرعب الذى يملأ قلبه ..

لكن (سيد) لمحه ، فصرخ فى الشباب الثلاثة :

ـ (كمال) بيهرب ..

قالها وانطلق خلفه بمنتهى السرعة ، وأثناء خروجه خلفه ، سأله أحد الجيران الناظرين من شرفهم عما يحدث فى الشارع ، وعن هذه الجلية والضوضاء ، فأخبره (سيد) بكلمات مختصرة عما يحدث ..

ومع هلع الرجل ، لم تمضى بضعة ثوانى حتى كان كل سكان شارع الأحرار يعرفون ما يحدث ، وامتلأت أجواء الحارة بأقوال الاستنكار على غرار .. أعوذ بالله .. الشرف .. الزنا .. الزانى والزانية فى النار ..

ونـزل الرجـال مـن منازلهـم الى الشـارع متجهـين الى منـزل (كـمال) ، وأحدهـم يهتـف بأخـر ، بـلا وعـى :

ــ بسرعه علشان نشوفها قبل ما تلبس هدومها ..

أمـا النسـاء فوقفـن فى الشرفـات والنوافـذ ، يتحدثـن عـن شرف الشـارع وسـكانه ، والمصائـب التـى حلـت بـه كـما حـدث فى إحـدى حلقـات ذلـك البرنامـج الشـهير ..

حتى السيدة (فوزية) وقفت فى شرفتها ، وهى تصيح بغضب بالغ:

ــ (كمال) وأهله مالهمش مكان كده فى الشارع معانا ..

ثم نظرت إلى زوجها ، الذى يركض فى الشارع وصاحت :

ــ ما تدخلش البيت يا (جمعة) ، ده بقى بيت مشبوه ..

ثـم سـمعت جـرس هاتفهـا المحمـول يـدوى فى الداخـل ، فدخلـت ونظـرت إلى شاشـته ، وفـور أن قـرأت إسـم (دعـاء الخياطـة) ، لامست الشاشة وقالت بتوتر:

ــ يـا مجنـون .. مـش قولتلـك ماتتصلـش بالليـل تـانى ؟ .. لأ .. لسـه جـوزى ماسـافرش .. هيسـافر بكـره الضهـر .. حاااااضر .. أول مايطلـع مـن البيـت هجيلـك هـوا ..

وضحكت وهى تسمعه ثم قالت :

ــ واللـه حـاضر .. أيـوه .. الأحمـر القصـير الـلى إنـت بتحبـه .. هجيبـه معايـا .. خـلاص يـا مجنـون إقفـل بقـى ..

ولامسـت الشاشـة وأغلقـت الهاتـف ، ثـم التقطـت نفسـاً عميقـاً ، وخرجـت فى الشرفـة وهـى تصيـح بصـوت عـال :

ــ أعوذ بالله من غضب الله ..

أمـا زوجهـا وبقيـة الرجـال ، فقـد حاولـوا الدخـول لمنـزل (كـمال) ، الا أن الحـاج (توفيـق) منعهـم مـن ذلـك ، ولأنـه أكـبر رجـل فى الشـارع

سناً ومقاماً ، فقد استمع الرجال له ، ووقفوا خارجاً ينتظرون ما سينتهى عليه الأمر ..

ثم دخل الحاج (توفيق) الى المنزل مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ أستر علينا يارب وعلى ولايانا ..

ثم نظر الى العاهرة بنظرة حادة ، فى حين أخذت هى تبكى بقوة وتقول :

ـ سيبونى أمشى .. بالله عليكم سيبونى أمشى .. بلاش فضايح بالله عليك يا حج ..

فأندفع نحوها (هاشم) ، وصفعها بقوة صفعتين متتاليتين ، هاتفاً :

ـ وإنت بتخافى من الفضايح يابنت الكلب ؟..

فهتف الحاج (توفيق) :

ـ (هاشم) .. كفايه .. إضربت كتير ..

أما (عبد الرازق) فقد هتف بغضب :

ـ بوليس الأداب أولى بيها يا حاج (توفيق) ..

أما (حمدى) فقال بغل :

ـ نجيب أهلها يستلموها ..

اتسعت عيناها فى ارتياع ، ثم اندفعت نحو الحاج (توفيق) ، وانحنت تقبل قدميه ، وهى تصرخ :

ـ أرجوك يا عم (توفيق) ، سيبونى أمشى .. بلاش اللى بتقولوه ده .. إعتبرنى بنتك وغلطت .. أبوس إيدك يا حج (توفيق) ..

فتنهد الحاج (توفيق) ، وقال :

ـ سيبوها تمشى ..

كاد الشبان الثلاثة أن يعترضوا ، فى نفس الوقت الذى جاء فيه (سيد) لاهثاً وهو يقول:

openkan.com

ـ هرب منى النجس ..
فنظر الحاج (توفيق) اليها ، وقال :
ـ عرفتى قيمتك دلوقتى ؟.. بمجرد ماحس هو بالخطر هرب وسابك لوحدك للفضيحة ..
ثم أشاح بوجهه بعيداً ، وقال :
ـ إمشى يلا ..
فهتف (سيد) غاضباً :
ـ هنسيبها تمشى كده بعد ما نجست الشارع ؟..
فأجاب الحاج (توفيق) ، وهو يضغط على حروف كلماته :
ـ ربنا أمر بالستر ، وليها رب يجازيها على نجاستها ..
ثم قال ، بعد أن التقط أنفاسه :
ـ الوقت متأخر .. حد يوصلها لأول الشارع ..
اتسعت عيون الشباب الأربعة فى ذهول ، ورفض كل منهم أن يفعل ذلك ، بحجة أنه لا يمكن لأحد منهم السير مع عاهرة حقيرة ..
وهنا لم يجد الحاج (توفيق) مخرجاً من أن يقرر أن يوصلها الى بداية الطريق بنفسه ، وخرج بها من المنزل أمام الجميع فعلت أصوات الهمهمات والشتائم من الرجال والنساء ، الذين راحوا يسألون الشبان الأربعة عما حدث ، وعما دفع الحاج (توفيق) للسير مع تلك الساقطة وحدهما ..
وفور أن علموا أن الحاج (توفيق) قرر تركها تذهب دون عقاب ، عاد كل واحد إلى منزله ، وهم منقسمين فى الأراء بين مؤيد ومعارض لهذا الأمر ، وبعضهم يؤكد على مبدأ الستر فى الإبتلاء ، وآخرون يؤكدون على ضرورة الفضيحة حتى يتوب الخاطىء عن خطأه ..
وبعد بضعة دقائق عاد الهدوء إلى شارع الأحرار ، وإن كانت

الأحاديث انتقلت إلى داخل المنازل ، أما فى الشارع نفسه ، فلم يتبقى سوى الشباب الأربعة ، وقد انزوى (عبد الرازق) و (حمدى) جانباً والأول يقول :

ــ الزفت (هاشم) دخلنى فى الموضوع وعاملى فيها أبو الشرف ، وكنت مرعوب بصراحة أحسن تحصل معانا الصدف اللى بتحصل فى الأفلام ..

فأبتسم (حمدى) وهو يقول :

ــ أنا كمان كنت خايف أحسن تطلع هى نفس البت اللى كانت معانا إمبارح فى بيت (صلاح) ، بس أول ما شفتها عرفت إن مفيش مقارنه أصلاً ..

فقال (عبد الرازق) ، وهو يعض شفته السفلى :

ــ البت فرسة وطلعت من عينى بصراحة ..

قالها ثم لوح بيده الى (هاشم) الذى كان يقف بعيداً مع (سيد) ، ويقول له :

ــ متهيألى كده مفيش نوم بعد دلوقتى .. معاك أى بواقى من ليلة إمبارح؟..

فأجابه (سيد) وهو يدلك فروة رأسه :

ــ اللى معايا مايعملوش سيجارتين أو ثلاثة ..

ثم نظر الى شرفة أحد المنازل ، وقال :

ــ حتى (البرازيلى) طلبت معاه النهارده نوم بدرى ، أو مش موجود علشان ماظهرش فى الزحمة ، ولو نادينا عليه دلوقتى الناس هتشك فينا رسمى ..

فتنهد (هاشم) ، وقال بأسى :

ــ يبقى نخمس فى السيجارتين ..

obeikan.com

فسارا معا ليذهبا الى مكانهما المعتاد ، وفى الطريق سأل (هاشم) :
ــ ماقولتليش يا (سيد) ، هرب منك فين الواد (كمال) ؟؟..
فتوتر (سيد) ووضع يده فى جيبه ، وأخذ يعبث فى كومة من النقود ، لم تكن معه منذ ساعة واحدة ، وهو يقول متلعثماً :
ــ إختفى فى حاره ضيقة أخر الشارع .. لأ .. أخر الشارع الى بعدنا..
وظلا يتحدثا الى أن اختفيا فى ظلام الشوارع ..
وبعد ساعتين .. بدأت أنوار الصباح تلقى ظلالها على الشارع ، وكانت أول الأقدام التى خطت فى شارع الأحرار ، فى هذا الصباح هى قدم الحاج (توفيق) ، الذى توجه الى منزله بسرعة ، وهو يتلفت حوله كالمجذوب وعقله يكاد يشتعل ..
تباً لتلك العاهرة ..ثم دخل الى منزله بسرعة وأغلق الباب خلفه.. تباً لتلك العاهرة ..
وأخرج حافظة نقوده التى أصبحت خالية من النقود .. تباً لتلك العاهرة .. وألقى جسده على سريره وهو منهك غير قادر على الحركة ..
اللعنة على تلك العاهرة .. فبمجرد أن لمح لها وافقت على الفور وأخذته على بيتها ..
لكنه أزاح الموضوع برمته عن ذهنه، وفضل النوم ، لأنه عندما يستيقظ سيكون عليه بحث موضوع (كمال) وعائلته التى بدا من الواضح أنه لم يعد لهم مكان فى شارع الأحرار بعد اليوم !..

***

كوكب الهمج

حقول خضراء تدمرها حشرة لا تُرى !!

obeikan.com

obeikan.com

دخلت إلى القاعة الكبرى بثقة وإعتداد كعادتى ، وإتجهت بخطوات حازمة نحو مقعدى حول تلك المائدة المستديرة العملاقة ، التى يجلس حولها أعضاء وسفراء وضيوف (مجلس الإتحاد الكونى) ، الذى يعقد اليوم جلسته الطارئة والنهائية ، للفصل فى الموضوع محل النزاع ، أو الإختلاف بمعنى أدق ..

مررت نظرى فى وجوه الحاضرين جميعاً ، فوجدت أن الجميع يتوجهون بأعينهم إلىَ ، لأنهم يعلمون أننى السبب المباشر فى إثارة ذلك الإختلاف ، والسبب الغير مباشر فى عقد هذه الجلسة لمجلس الإتحاد ..

فأبعدت عينى عن عيونهم ، وتوجهت بنظرى إلى ذلك الذى يجلس أمامى مباشرة فى الناحية الأخرى من المائدة المستديرة ، ويرمقنى بتلك النظرات المتحدية القوية ، وقد اتخذ منى موقف الخصم ، بعدما سعى كل منا الى تأييد وجهة نظره ، وكسب أكبر عدد من المناصرين ، داخل المجلس وخارجه ..

حاولت تجاهل نظراته ونظرت تجاه مقعد رئيس الإتحاد الخالى، والذى نجلس جميعاً فى إنتظاره لحسم هذا الأمر ، ووضع نهاية لهذا الإختلاف ، الذى أظنه يمثل خطراً حقيقياً على الإتحاد ، بل وعلى كل الكواكب الأعضاء فيه ..

ولا إراديا إصطدمت نظراتى بنظرات خصمى مرة أخرى ، وهو يتهامس مع بعض الأعضاء الذين يجلسون حوله ، وعيناه ما زالتا تحتفظان بتلك النظرة المتحدية ، وشبح ابتسامة ساخرة بدأ فى الظهور على شفتيه ، وكأنه يعلن لى أنه على ثقة من تأييد المجلس لرأيه ووجهة نظره ..

على أية حال فليذهب إلى الجحيم هو وكل معاونيه ومؤيديه ..

فمهما كانت النتائج سأصر على موقفى ، وأحاول مرة أخرى وأخرى ، حتى ينتبه الجميع إلى ذلك الخطر الوشيك الحدوث ..

أما التراجع عن موقفى فليس فى أجندتى من الأساس ، ولن أدع (الإتحاد الكونى) عرضةً للدمار والخراب ..

فالإتحاد الكونى - ومنذ أن نشأ - وهو يقوم بالغرض الذى أُنشىء من أجله، على أكمل وجه ..

فقد تم إنشائه من أجل ضم جميع كواكب مجرتنا ، التى تحتوى على حياة عاقلة ، إلى الإتحاد ، من أجل صنع لغة للصداقة بين جميع المخلوقات العاقلة ، والاستفادة المتبادلة ، بين هذه المخلوقات من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإنشاء شبكة دفاعية قوية ، تتكون من قوى هذه الكواكب مجتمعة، للوقوف ضد أى عدوان قد يحدث على كواكب الإتحاد ، من قبل كواكب بعيدة خارج مجرتنا ، لا يستطيع الإتحاد رصدها أو الوصول إليها ..

وبالفعل تم إنشاء الإتحاد فى منتصف الألفيه الثالثة ، بين كوكبنا وأحد الكواكب القريبة ، ثم راح الإتحاد يعلن عن نفسه ، لكل الكواكب التى يتم رصد حياة عاقلة عليها ، بعد دراستها ، ويتم ضمها إلى الاتحاد بعد موافقة منها بالطبع ..

وراح الإتحاد يكبر وينمو ، وأصبح كياناً فضائياً قوياً ومستقلاً ،

وأصبحت له سياسة فضائية بارزة قام من خلالها ، بإصلاح الكثير من عيوب بعض الكواكب التى إنضمت اليه ، بعد دهشة وذهول سكانها ، من وجود كيان فضائى مثل هذا ، ومن وجود كائنات عاقلة غيرهم ..

ومنذ نشأة الإتحاد ، لم يتم إستثناء أى كوكب من الكواكب التى تم رصدها ، وذهاب ممثلى الإتحاد إليها ، بل أن كل الكواكب ، وافق الإتحاد على ضمها إليه ، ووافقت الكواكب على الآنضمام إلى الإتحاد ..

وجائت النتائج رائعة وغير متوقعة ، وتم إنشاء تلك الشبكة الدفاعية ، بتعاون من جميع الكواكب الأعضاء ، وإزداد نمو وقوة وقدرة الإتحاد، وبالتالى إمكانياته العلمية ، والتكنولو جية ، وبالذات إمكانيات الرصد الفضائية ..

وتم رصد ثلاثة كواكب جديدة !!..

ثلاثة كواكب تحيا على سطحها مخلوقات عاقلة ، فى نفس المجرة لكنها متباعدة ، بحكم تباعد النجوم التابعة لها تلك الكواكب ، ضمن أكثر من مئتي مليار نجم تضمها مجرتنا لم نكتشف معظمها حتى الآن ، فى القرن الخامس والعشرين ..

وتوجه الإتحاد إلى الخطوة التالية ، قبل الإعلان عن نفسه ..

الدراسة ..

بدأ الإتحاد فى دراسة هذه الكواكب الثلاثة ، تمهيداً للإعلان عن نفسه للمخلوقات التى تقطنها ، ثم ضمهم إليه ، فتم إرسال وحدات الدراسة الميدانية ، إلى سطح الكواكب الثلاثة ـ بلا إعلان عن نفسها بالطبع ـ ثم تم إرسال وحدات الدراسة الفضائية ، ذات الإمكانيات الفائقة ، وكان يرأس فريق دراسة كل كوكب من

الكواكب الثلاثة ، اثنين من العلماء ..
وكنت أنا وخصمى ، رؤساء لفريق دراسة أحد الكواكب الثلاثة ..
وبالفعل ، تمت دراسة الكواكب الثلاثة ، وجاء وقت تقديم التقارير من رؤساء فرق الدراسة ..
وتم تقديم التقارير ..
أحد هذه الكواكب ، كان فى قمة التطور التكنولوجى والتقنى ، حتى أن رؤساء فرق الدراسة الخاصة به ، قالوا فى تقريرهم ، أن هذا الكوكب قد وصل ـ أو قارب على الوصول ـ إلى قمة التطور الذى يمكن أن تصل إليه حضارة عاقلة ..
ثانى هذه الكواكب ، هو كوكب بدائى ، لا يحمل أى صورة من صور التطور العلمى أو التكنولوجى أو الحضارى ، لكنهم فى نفس الوقت مخلوقات عاقلة منظمة ، أغلبهم من المسالمين ..
أما الكوكب الثالث هو المشكلة ..
ذلك الكوكب الذى كنت مسئولاً ـ أنا وخصمى ـ عن دراسته ، وتقديم تقرير بشأنه ..
كوكب عجيب ورهيب ، ويتراوح فى طبيعة سكانه ، بين الكوكبين الأخرين ..
فهو كوكب متقدم علمياً وتكنولوجياً إلى حد ما ، لكنه فى نفس الوقت به قدر كبير من الهمجية والعدوانية ، الغير عادية !!..
الحروب منتشرة على سطحه بطريقة عجيبة ، والنيران واللهيب هما لونه المميز ، وسط مجموعته ..
فى أغلب مناطقه الموت هو القاعدة ، والحياة هى الاستثناء ، حتى أن إثنين من فريق الدراسة الميدانية قُتلوا هناك ، فى إنفجارات مباغتة بلا مقدمات أو أسباب ، أو مبررات ..

هـذا الكوكـب لـه طبيعـة عجيبـة فى سـكانه ، الـكل يسـعى لقهـر غـيره وإهانتـه، وربمـا التخلـص منـه ، الـكل يسـعى للبقـاء حتـى لـو عـلى حسـاب فنـاء الغـير ، وإسـتغلالهم لتقدمهـم العلمـى سـيئ لأقـصى حـد، مـا أدى حتـى لتدمـير طبيعـة الكوكـب ..

كل هذا بالإضافة إلى تاريخهم المليء بالنزاعات والحروب والدمار ..

كل منهم يفسد كوكبه بطريقة مختلفة ..

كوكب رهيب إلى أقصى درجة ..

صحيـح أننـا ـ وخـلال تاريـخ الإتحـاد الطويـل ـ صادفتنـا بعـض هـذه العيـوب ، فى بعـض الكواكـب التـى إنضمـت إلينـا ، وصحيـح أيضـاً أن كوكبـى نفسـه ، كان بـه مثـل هـذه العيـوب ، لكـن هـذه هـى المـرة الأولى التـى نجـد فيهـا كل هـذه الكـوارث فى كوكـب واحد..لهـذا أطلقـت عليـه فى التقريـر (كوكـب الهمـج) ..

وهـم بالفعـل مجموعـة مـن الهمـج ، فى قمـة الوحشـية والدمويـة، ومـا أصعـب أن تكـون الهمجيـة والوحشـية ، مقترنتـان بالعلـم والتكنولوجيا، لأنهـم يسـتخدمون مـا وصلـوا إليـه مـن علـم ، فى إرضـاء دمويتهـم وسـاديتهم ، وفى إفنـاء بعضهـم البعـض ..

شيء رهيب ما يحدث على هذا الكوكب الهمجى ..

شيء فى منتهى الخطورة إذا تم ضمهم إلى الإتحاد ..

فتلـك المخلوقـات التـى تضـم فى جيناتهـا كل هـذه الرغبـة فى الـشر لا يكتفـون بإفسـاد أرضهـم أو كوكبهـم فقـط ، بـل ربمـا يسـعون للسـيطرة عـلى الإتحـاد إذا تـم ضمهـم إليـه ، وربمـا يتسـببون فى تدميره وخرابـه بوحشـيتهم الرهيبـة ..

لهـذا اعترضـت بشـدة عـلى إنضـمام (كوكـب الهمـج) إلى الإتحـاد ، وسـجلت هـذا فى تقريـرى ، الـذى حشـد كل الإجـماع التـام ، الـذى

أتمنـاه ..
مـا عـدا خصمـى الـذى كنـت أتوقـع منـه تأييـداً ، لأنـه ينتمـى إلى كوكبـى نفسـه، الـذى عانينـا عليـه بعضـاً مـن هـذه الأمـور لفـترة ليسـت بقليلـة ..
إلا أنـه الوحيـد الـذى كان يدعـو إلى ضـم (كوكـب الهمـج) إلى الإتحـاد، والسـعى إلى إصـلاح مـا بـه مـن عيـوب ومشـاكل ..
لكنـى أوضحـت للمجلـس أن إحتـمال الخطـر ، يفـوق بكثـير إحتـمال إصلاحـه ، لأن المشـكلة ليسـت فى مايحـدث عـلى سـطحه ، وإنمـا فى تلـك المشـاكل النفسـية المعقـدة ، المتداخلـة فى جينـات سـكانه ..
لهـذا عقـدت هـذه الجلسـة ، مـن أجـل قـرار نهـائى فى شـأن الكواكـب الثلاثـة المرشـحة لعضويـة الإتحـاد الكـونى ، وضمنهـم (كوكـب الهمـج) اللعـين ..
ويبـدو أن القـرار النهـائى للمجلـس عـلى وشـك أن يُعلـن ، لأن رئيـس المجلـس دخـل القاعـة ، ببطنـه المنتفخـة ، وإتخـذ مقعـده الضخـم على المائـدة المسـتديرة، والقـى التحيـة عـلى الجميـع ، ثـم أضـاءت تلـك الشاشـة المجسـمة التـى أمامـه تلقائيـاً ، وهـو يقـول بصوتـه القـوى :
ــ أنتـم تعلمـون بالطبـع أن هـذه الجلسـة ، هـى للبـت فى ضـم الكواكـب الثلاثـة الجـدد إلى الإتحـاد ، بعـد إنتهـاء مرحلـة الدراسـة لهـذه الكواكـب ..
أومـأ البعـض برؤوسـهم ، بينـما إلتـزم البعـض الأخـر السـكون التـام، وهـم يسـمعونه يقـول وهـو ينظـر للمجسـم الضـوئى ثـلاثى الأبعـاد الـذى أمامـه :
ــ بالنسـبة للكوكـب الأول الـذى يتمتـع بتطـور كبـير كـما جـاء فى التقاريـر ، فقـد وافقـت اللجنـة العليـا لمجلـس الإتحـاد عـلى ضمـه ،

بعد الإعلان عن أنفسنا أمامهم ، وأعتقد أن ضم ذلك الكوكب سيكون مفيد للإتحاد ،للاستفادة مما وصلوا اليه من تقدم علمى.. صمت لحظة ، بقى الجميع خلالها صامتون حتى تبدلت الصورة المجسمة أمامهم فأكمل هو :

ــ أما بالنسبة للكوكب الثانى ، والذى وصفته التقارير بالبدائية، فقد إقترحت اللجنة العليا ، أن يكون تحت إشراف الإتحاد ،لنساعده على التقدم بسرعة أكبر وعند بلوغه درجة معقولة من الرقى ، سيصبح لهم عضوا فى المجلس، وسيصبح عضواً رسمياً فى الإتحاد .. توترت أنا لأننا وصلنا إلى الجزء الخاص بـ (كوكب الهمج) ، ولأننى كنت أعلم جيداً ، مدى حساسية موقف رئيس الإتحاد فى هذه القضية بالذات ،لأنه ينتمى إلى كوكبنا أنا وخصمى ،فهو فى حرج أمامنا نحن الإثنين من ناحية ، وأمام بقية الكواكب الأعضاء من ناحية أخرى ..

إلا أن المجسم الضوئى الذى أمامى أضاء فجأة ،وظهرت عليها بعض البيانات والصور ، فشعرت بقشعريرة باردة انتابتنى وأنا أتراجع على مقعدى ، وقد شعرت براحة غامرة وسعادة بالغة ، ثم ألقيت نظرة على خصمى الذى ظهرت على شاشته نفس البيانات والصور ، فوجدت ملامحه مضطربة ومتوترة ، وراح يتحاشى نظراتى بإصرار ..

كنت أعلم أن هذه البيانات لم تظهر إلا على شاشتى وشاشته فقط، بحكم أننا المسئولان عن دراسة ومتابعة (كوكب الهمج) .. أما رئيس لجنة الإتحاد ، فقد راح يكمل حديثه ، قائلاً ، وهو ينظر الىَ :

ــ والآن نتعرض لقضية ذلك الكوكب الثالث ، والذى سمى فى

التقرير الذى قدمه دارسوه بـ (كوكب الهمج) ،والذى أثار جدلاً بين أعضاء المجلس ، إنتهى الى إجماع على عدم ضمه الى الإتحاد ، ما عدا صوتاً واحداً ، هو الذى يدعو إلى ضم ذلك الكوكب .. إبتسمت أنا بلا توتر ، وبثقة هذه المرة ، فى حين رفع خصمى يده ، طالباً الإذن بالتكلم ، فأشار له رئيس المجلس ليتكلم ، فقال بحسم :

ـ أريد أن أسحب إعتراضى سيدى الرئيس ..

فأبتسم رئيس المجلس ، ونظر إلىَ نظرة طويلة ، ثم عاد بنظره إلى خصمى، وسأله بدهشه :

ـ هل نضم صوتك أخيراً ، إلى صوت الإجماع الداعى إلى عدم ضم ذلك الكوكب الهمجى ، إلى الإتحاد ؟!..

صمت خصمى لحظة ، ثم قال :

ـ حتى الإجماع الآن لم تعد له قيمة ..

تراجع الرئيس على ظهر مقعده ، وسأل بدهشة :

ـ ولماذا ؟!..

فأجبت أنا هذه المرة :

ـ لأننا يا سيدى الرئيس ،ربما بعد نهاية هذه الجلسة ،لن نجد (كوكب الهمج) على الخريطة الفضائية ،لأنه وباختصار سيكون قد إنتهى ..

فشاعت بعض الهمهمات بين أعضاء المجلس ، فى حين سأل الرئيس مرة أخرى :

ـ لماذا ؟!..

فقال خصمى :

ـ لقد إندلعت حرب جديدة على ذلك الكوكب ، لكنها هذه المرة

حـرب كـبرى ..
فأضفت أنا بثقة :
ــ وأخيرة ..
فأومأ الرئيس برأسه متفهماً ، وهو يقول :
ــ عـلى العمـوم ، لقـد تنبـأت اللجنـة العليـا ـ بعـد قـراءة التقاريـر الخاصـة بذلـك الكوكـب ـ بحـدوث حـرب كـبرى ، سيسـتخدمون فيهـا كل قدراتهـم وأسـلحتهم ، وسـتقضى هـذه الحـرب ، عـلى كل الكائنـات العاقلـة عـلى سـطحه ..
ثم نظر إلى خصمى ، أو الذى كان خصمى ، وقال :
ــ ولهـذا فقـد إتخـذت اللجنـة العليـا قرارهـا ، قبـل حتـى أن تسـمع إعتراضـك، برفـض ضـم ذلـك الكوكـب الهمجـى إلى الإتحـاد ، للإبتعـاد عـن شره وهمجيـة سـكانه ، بـل لقـد ذهبنـا إلى توجيـه جـزء مـن سـلاح الشـبكة الدفاعيـة ضـده ، اذا تطـور لدرجـة تسـمح لـه بمهاجمـة أى كوكـب مـن كواكـب الإتحـاد ، لكـن سـكانه كانـوا الأسـبق ، ودمـروه بأنفسـهم ، وبسرعـة لم نتخيلهـا ..
ثم نظر إلىَ وقال :
ــ لقد كنت على حق ..
ثم نظر إلى الجميع ، ونهض قائلاً :
ــ إنتهت الجلسة ..
نهـض الجميـع مـن حـولى ، وهـم ينظـرون لى نظـرات مُهنئـة مُشـجعة، أمـا أنـا فقـد بقيـت جالسـاً مـكانى ، ألتقـط أنفـاسى براحـة بالغـة ..
لقد إنزاح خطر (كوكب الهمج) ..
أو كما كان يطلق عليه سكانه .. (كوكب الأرض) ..

obeikan.com

قيود

نبدل المُسميات كى نجد المُبررات !!

obeikan.com

obeikan.com

كانت تتحرك بعدم إرتياح وهى ممددة على الشاطئ تحت أشعة الشمس الدافئة ، وزفرت بقوة وهى تتأكد من وجود النظارة الشمسية السوداء على وجهها .. ربما للتأكد من حماية عينيها من الأشعة الساخنة .. وربما أيضاً لتخفى ذلك التوتر الذى بدا واضحاً على ملامحها ، وهى تسرح بأفكارها بعيداً ..

لأول مرة تشعر بهذا الشعور وتراودها تلك الأفكار ، ويعتريها هذا الإحساس بعدم الارتياح ، وهى ترتدى المايوه ذو القطعتين الصغيرتين ، رغم أنها معتادة على ارتدائه ، بل وتعلمت منذ الصغر أن هذا المكان هو المناسب لارتدائه ..

لأول مرة تشعر أن كل العيون تلتهم جسدها وتنظر إليه ، رغم أن الشاطئ ملئ

بالفتيات اللاتى يرتدين نفس الشيء !..

وقد تجمعت كل هذه الأحاسيس كموجة ضخمة تضرب عقلها وقلبها ، وتجعلها تشعر بذلك الشعور الغريب والصادم .. تشعر انها عارية ..

وبلا وعى منها قفز ذهنها إلى مكان آخر .. وشخص اخر .. (أشرف)..

ذلك الشاب الذى ارتبطت به منذ عام تقريباً ، وبالتحديد فى الصيف الماضى.. ذلك الشاب الوسيم والناجح، أبن أحد أكبر رجال الأعمال ذو الصيت الذائع.. ذلك الذى رآها فى حفل زفاف أحد

اقاربه ، وتقدم لخطبتها بعدما تعارف معها بأسلوب راقى مُحترم، وقد أحست هى ناحيته بميل حقيقي ..

فى بداية تعارفهما أحست هى بدهشة حقيقية ، لأن (أشرف) وعلى الرغم من أنه بالغ الثراء وناجح ومن نفس مستواها الطبقى والاجتماعي ، لاحظت كلامه الدائم عن الفقراء والمرضى والمحتاجين، وحديثة عن أن فائدة الأثرياء الوحيدة هى مساعدة أولائك وليس تضخيم ثرواتهم ،كما أنها لم تكن تراه من قبل أبداً فى تلك الأماكن التى يرتادها أغلب أبناء الأثرياء ..

فلم تكن قد رأته من قبل فى ملهى ليلى أو ديسكو أو بار أو حتى فى إحدى الرحلات الكبرى ، أو السفارى !.. وقد سألته هى عن سر اختفائه عن هذه الأماكن ، وقد كانت إجابته ساعتها عبارة عن صمت .. صمت طويل .. ونظرة عجيبة ..

نظرة لم تفهم معناها إلا بعدما تمت الخطبة فى حفل كبير ، حضره كبار رجال الأعمال والأثرياء والإعلاميين وذوى النفوذ ، وكانت وقتها قد إقتربت منه أكثر ، وإقترب هو أيضاً منها ، وقد لاحظت هى إنه مختلف فى شيءِ ما لا تفهمه !..

وحاولت كثيراً أن تجعله يتعارف عل أصدقائها و صديقاتها ، بل وحملته على الذهاب معها

إلى تلك الأماكن التى اعتادت الذهاب إليها ، والآن خراط فى ذلك العالم الذى تحياه ، لذلك كان لابد من التصادم الأول ..

عندما وجد (أشرف) أن طريقة تعاملها مع أصدقائها بها بعض الابتذال - من وجهة

نظرة - إعترض عليها بشدة ، بل وعلى تلك الأماكن التى تحاول ان تجذبه إليها ، وبرر هو ذلك بخوفه عليها ، وحبه لها متحدثاً إليها

بلهجة حانيه مُحبة ، لا تخلو من الصرامة والحسم ..
وساعتها أدركت ما يحاول فرضه عليها ..
وبعقليتها المحدودة الفارغة ظنت إنه يسعى لإحاطتها بالقيود من كل صوب، ولأنها لم تكن قد ذاقت طعم الاهتمام الأدبى – وليس المادى - من أب أو أم ، ولأنها تصطنع التمرد ولا تفهم معناه، فقد رفضت كل هذه القيود ..
فكيف لوحيدة أبيها والتى كانت تشرب التدليل كالماء أن ترضى بأن يفرض أحد شروطه عليها ؟.. كيف للتى كانت تأمر فتُطاع أن تتقبل أمراً من أحد حتى ولو كان قريباً منها ؟.. كيف للتى تظن أنها أكبر عقلية فى الكون، تتقبل نصيحة من أحد حتى ولو كان ذلك الذى قبلت أن تقضى بقية حياتها معه ؟..
أما (أشرف) - وبدافع الحب الصادق - فقد ظن أن هناك أمل فى إصلاحها وإعادتها إلى صوابها وجعلها تصلح كزوجة مناسبة لأنه كان يحبها بحق ، وغير مُستعد للتنازل عنها
بسهوله ..
وراح يكثف نصائحه بكل طيبة وحنان ، متوقعاً منها الاستجابة ، وغير مُبالى بذلك اليأس الذى كان يصيبه فى أغلب الأحيان ، وقد سعى لتغيرها بشكل كلى ، وتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتها، وهو يحاول تحسين الأمور التى ساءت ، وتبديل التوافه التى أضحت ثوابت ..
تدخل فى ملابسها .. طريقة تعاملها مع الناس .. الأماكن التى تعودت عليها.. كل شيء .. أما هى وكعادة المدللين الذين يعتقدون أن أرآئهم فقط هى الصواب ، وأن معارضتهم تصل فى إجرامها لدرجة القتل العمد ، فراحت ترفض كل هذه النصائح التى كانت

تنظـر إليهـا كقيـود ينبغـى التحـرر منهـا وكسرهـا ، ولذلـك كانـت تتعمـد فعـل تلـك الأشـياء التـى ينصحهـا بعـدم فعلهـا!..

حتـى فاجأهـا فى أحـد الأيـام فى ذلـك الديسـكو وهـى ترقـص مـع أصدقائهـا ، وتتقافـز عـلى ضجيـج تلـك الموسـيقى الغربيـة الصاخبـة، وهـى تمسـك كأسـاً بـه مـشروب يـراه هـو جريمـة ، بينـما تـراه هـى مـن لـوازم الحيـاة ..

ويومهـا وإلى الآن لم تنـسى تلـك الصفعـة التـى هـوت عـلى وجههـا بقـوة ، وجعلتهـا تفيـق مـن تأثـير الخمـر وتنظـر إليـه ، وتلتقـى عيناهـا الذاهلتـين المصدومتـين مـع عينـاه الدامعتـين اللتـان

تحملان حزن وعتاب الكون كله ..

حتـى أصدقائهـا الراقصـين معهـا وقتهـا ، لم يجـرؤ أحدهـم عـلى الوقوف فى وجهـه، بـل عندمـا اسـتدار لينـصرف أفسـحوا لـه الطريـق بصمـت، وكأن شـيئاً فيـه يجـبر الجميـع عـلى احـترام مـا فعـل !.. شـيئاً حتـى وإن تـوارى خلـف كلمـة «ده العـادى» و «كل النـاس بتعمـل كـده» .. لكـن مـا أن يتجـرأ أحدهـم عـلى فعلـه حتـى يكتسـب رهبـة الـكل ..

وبعدهـا انقطـع عنهـا ولم تـراه ثانيـةً ، وظنـت هـى أنـه قـد ذهـب والقيـود ذهبـت معـه ، لكـن العجيـب أنهـا شـعرت بالحـزن لابتعـاده عنهـا ، لأنـه رحـل بعدمـا حـرك بداخلهـا شـيئاً غامضـاً كامنـاً بداخـل كل فتـاة حتـى لـو كانـت مسـتهترة مثلهـا ..

لكنهـا كانـت تقمـع هـذا الشـعور بفرحـة زائفـة ، بانتصـار حريتهـا عـلى حبـه للتملـك ، وبتحطـم كل القيـود التـى كان يفرضهـا حولهـا وبعودتهـا إلى مـا اعتـادت عليـه مـن أشـخاص وأفعـال وأماكـن ..

أمـا (أشرف) فقـد كان حبـه لهـا أقـوى مـن غضبـه منهـا .. لذلـك فقـد حـاول اللجـوء إلى والدهـا لمسـاعدته فى انتشـالها مـن ذلـك الجـو

الفاسد الذى سيطر عليها ، لكنه إصطدام بانشغال الأب بأعماله وثرواته ، وعدم اهتمامه بها على الإطلاق ، سوى بإغراقها بالأموال دون حساب ظناً أن هذه هى الرعاية الأبوية الحقه !..

وشعر بالحزن من أجلها وبالإشفاق عليها ، وكان - كعادة من يحب بصدق- يتمنى أن يرى حبيبته على صواب دائماً ، ويعطى لها كل الأعذار والمبررات لكل ما تفعل ، وقد وجد فى إهمال والدها ذلك الخيط الرفيع الذى تعلق به كى تكون هى مجنياً عليها ، وليست جانياً ..

لذلك فقد عاد إليها وهو يحاول إرضائها ، ويخبرها أنه لم يخطئ لكنه يحاول إصلاحها بإصرار لأنه يرى بداخلها إنسانة جميلة .. وساعتها أمسك أناملها وقبّلها برقة وصدق وحب لا يوصف ..

واهتزت هى بشدة لأنها شعرت - ولأول مرة - أنها أنثى ، وأن هناك من يهتم بها بل ويصر على ذلك ، بدافع قلبه الذى يخفق من أجلها ، واجتاح مشاعرها استمتاع عجيب بقربه منها ..

كل هذا جعلها تصمت وشجعه على أن يتحدث ..

حدثها عن كل شيء .. عن كرامتها التى يجب أن تحافظ عليها .. وعن الدين والأخلاق والقيم .. وعن الاحترام والالتزام .. ومفهوم الحرية .. كلمها يومها عن حبه لها وإصراره على أن تكون هى شريكة حياته وأم أولاده ..

ومع فرحتها بتلك المشاعر الجديدة التى تعيشها راح مارد التمرد السخيف الكامن بداخلها للنهوض منها ثانيةً ، لأن لها مبدأ واحد لا تغيره ، ولا تسمح لأحد بتغيره .. لا قيود على حريتها وعلى ما اعتادت عليه أبداً ..

«والمُزه الجامدة دى تبقى (ريهام) خطيبتى»

فتحت عيناها تحت نظارتها السوداء ، وأفاقت من كل أفكارها وذكرياتها ، على صوت (علاء) خطيبها الحالى ، ينطق بتلك الجملة بطريقة استعراضية هزليه ، وحوله مجموعة من الشباب والفتيات أشباه العرايا ..

فشعرت هى بتوتر غير محدود ، وهى تعتدل من نومتها بسرعة ، وتنظر إلى (علاء) الذى قال بطريقته الهزلية :

ـ أصحابى عايزين يتعرفوا عليكى ..

وراح يقدم لها أصدقائه وهى تصافحهم بذهن شارد ودون حتى أن تنتبه إلى أسمائهم ، أو إلى كلمات التهانى التى كانت خليط من العربية والانجليزية ، فى حين هتف (علاء) وهو يثبت هاتفه فى عصا (السيلفى) :

ـ يلا بينا ناخد صورة سيلفى ..

قالها بطريقة غنائية ، فجلس الجميع حولها ثم رفع (علاء) هاتفه لأعلى وفتح الجميع أفواههم بطريقة ـ نحن أغبياء مُندهشين ـ والتقط الصورة وراحوا يتسابقون لرؤيتها وإرسالها إلى أجهزة الهواتف الحديثة الخاصة بجميعهم ، وهم يتضاحكون ويتمازحون وإحدى الفتيات تهتف وهى تلوح بهاتفها بمرح :

ـ يلا يا شباب .. فرصة كبيرة .. صورة لخمس بنات بالمايوه ..

ضحك (علاء) وأصدقائه بقوة وقال أحد الشباب :

ـ الليلة دى أنا عاملكم سهرة جامدة بمناسبة خطوبة (علاء) و(ريهام) وقبل ما حد رزل يسأل .. أنا مجهز لكم كل اللوازم بتاعت السهرة ..

فغمز (علاء) بعينه ووضع إصبعيه السبابه والوسطى على شفتية وهو يهتف :

ـ كـل حاجة ؟..
فأومـأ الشـاب برأسـه إيجابـاً فهتـف الجميـع هتافـاً صاخبـاً ، وهـم يصفقـون بأيديهـم ، فمـر فى هـذه اللحظـة أحـد الشـباب بجانـب (عـلاء) فقطـع ضحكتـه ونـاداه راكضـاً إليـه وصافحـه ، وتحـدث إليـه قليـلاً ، ثـم عـاد إلى المجموعـة وهـو يقـول :
ـ (محمـود) ده الحريـت بتاعنـا فى ثانـوى ، وكان هيمـوت عـلى كليـة الطـب ، والمنحـوس فرقـت معـاه عـلى درجتـين بـس ..
فضحك واحد من الشباب وقال :
ـ وآديك إنت اللى دخلتها يابو ٨٠ ٪ ..
رفع (علاء) سبابته وتظاهر بالجدية ، وقال :
ـ بفلوسى ياكلاب ..
فضحك الشباب وقال زميله فى الجامعة الخاصة :
ـ طب بزمتك تفهم حاجة فى الطب ؟..
فأمسـك (عـلاء) بمعصـم (ريهـام) بيمنـاه ونظـر فى يـسراه عـلى سـاعة ليسـت موجـودة ، وقـال ضاحـكاً :
ـ عندك خشونة فى الركب ..
ضحـك الجميـع فى حـين نهضـت (ريهـام) وإلتقطـت المنشـفة الخاصـة بهـا ، وطوتهـا حـول خصرهـا وأنصرفـت مـن وسـطهم ، فاسـتوقفها (عـلاء) قائـلاً :
ـ رايحه فين ؟.. هنعوم كلنا دلوقتى .. مش هتعومى معانا ؟..
فأخبرتـه أنهـا مُتعبـة وسـتذهب إلى الشـاليه ، وبالفعـل تركتـه ومضـت وعـلى الرغـم مـن أنهـا إنفصلـت عـما حولهـا ، وغاصـت فى ذكرياتهـا مـرة أخـرى ، وبالتحديـد ذكريـات الصيـف المـاضى مـع (أشرف) ..
وقتهـا أقنعـت (أشرف) - بعـد تحسـين العلاقـة بينهـما - بالذهـاب

معها إلى المصيف ، حتى يقضيان وقتاً لطيفاً قد يزيل التوتر ، وفوجئت به يؤيد الفكرة بحماس ويخبرها أنه سيذهب من أجلها هى ، وحتى يكون معها ويتقرب إليها أكثر فى جو مناسب ..
وفى أول أيام الرحلة كانت هى قد إتخذت قراراً بأن تبتعد عن جميع أصدقائها وتبقى بجانبه هو فقط ، لأنها فعلاً كانت تشعر بإحساس مُختلف وهى بجانبه ، لكنها وعلى الرغم من ذلك ، فعلت ما تعودت على فعله كل عام فى نفس الوقت ..
تركته على الشاطئ ودخلت الشاليه ، وإرتدت المايوه وعادت إليه ببساطة، ودون حتى أن تتخيل ما الذى يمكن أن يحدث .. ساعتها وقف مكانه مصدوماً وهو ينظر إليها بذهول ، ثم هرع إليها مسرعاً ، ممسكاً منشفة كانت بجانبه وراح يحاول تغطيتها ..
وهى لن تنسى ذلك الشعور الذى أحست به وهو يغطى جسدها ، دون أن ينظر إليه ولن تنسى أبداً تلك النظرة فى عينيه.. نظرة عجيبة جمعت بين الذهول والإرتياع والصدمة .. نظرة تنطق بالعتاب وتموج بالغضب .. نظرة رجل يُحب ويحافظ على محبوبته ..
وتألقت تلك الدمعة فى عيناه ودفعها أمامه صامتاً حتى دخلا الشاليه ، وأمرها دون أن ينظر إليها أن ترتدى شيئاً يستر جسدها المتعرى ، وبعد أن ارتدت ملابسها زال هدوئه الذى كان يسبق ثورته العارمة التى تفجرت بغته !..
وهى - كمتمردة ساذجة - بالطبع لم تصمت وراحت تقاوم تلك القيود التى يحاول تكبيلها بها ، وثارت هى أيضاً وصرخت وراحت تجادله وسط ثورتها..
أخبرته أنها فى المكان المناسب لإرتداء المايوه .. فأجاب بأن ليس

هنـاك مـكان مناسـب للعـرى .. أخبرتـه بـأن الجميـع يفعلـون هـذا .. فأجـاب بأنهـا الوحيـده التـى يهمـه أمرهـا وليـس الجميـع .. ووصفتـه بالتخلـف والرجعيـة وقالـت لـه أنـه ليـس مـن نفـس مسـتواها رغـم ثرائـه الضخـم .. وهنـا صمـت (أشرف) ..

صمـت لصدمتـه ربمـا ، أو لأنـه تأكـد مـن عـدم إمكانيـة إصـلاح تلـك الإنسـانة المشـوهة التـى أمامـه .. ولذلـك تـم الإنفصـال ، وذهـب (أشرف) ، وذهبـت معـه كل القيـود ..

فتظاهـرت هـى بالإرتيـاح لإبتعـاده النهـائى عنهـا لكنهـا لم تنكـر - فى أعماقهـا - أن (أشرف) قـد حـرك بداخلهـا شيء غامـض لم تعرفـه أو تفهمـه !..

وصلـت إلى الشـاليه الـذى يملكـه والدهـا ودخلـت بخطـوات بطيئـة ، وشـعرت بالراحـه فى

ارتداء ملابسها ، وعقلها يعبث ببعض الذكريات القريبة ..

منـذ تمـت خطبتهـا لــ (عـلاء) منـذ أقـل مـن شـهر ، وقـد وافقـت عـلى سـبيل التجربـة ، لأنـه كان أحـد أصدقائهـا منـذ وقـت طويـل ..

شـاب مثلهـا فى كل شيء ومـن نفـس مسـتواها المـالى والإجتماعـى ، والمهـم بالنسـبة لهـا أنـه لا يضـع لهـا أيـة قيـود أو ضوابـط .. لكنهـا وعـلى الرغـم مـن هـذا يراودهـا شـعور غامـض بـين الحـين والأخـر، أنهـا تفتقـد (أشرف)بشـدة .. تفتقـد حبـه ونظرتـه وخوفـه عليهـا ، وحرصـه عـلى كرامتهـا وأخلاقهـا ..

تفتقـد ذلـك الشـعور المبهـم الـذى أيقظـه بداخلهـا كأنثـى تحتـاج إلى الأمـان والإهتـمام والحـب ، بـل وتفتقـد تلـك القيـود التـى كانـت ترفضهـا وتتمـرد عليهـا!..

فى كل موقـف تحيـاه الآن مـع (عـلاء) ، يذهـب عقلهـا تلقائيـاً إلى

openkan.com

المقارنة بينه وبين (أشرف) ورد فعله فى نفس الوقت ، وكانت تشعر بلذة غريبة وهى تتخيل نفسها مع (أشرف) وهو يحيطها بحبه ونصائحه وقيوده !..

أما (علاء) فهى لا تشعر تجاهه بأى إحساس مختلف ، لأنها ليست متأكدة من حبه لها من عدمه ، بل ولا يهمها من الأساس، لأنه لا يبرز أى إهتمام بها أبداً أو يعارضها فى تصرفاتها أو يضع عليها أى قيود من أى نوع ..

لذلك تحيا فى هذا الضياع وحيرة التفكير ، منذ أن تركها (أشرف) وقد تضاعف كل هذا بعد خطبتها لـ(علاء) ، وكثيراً ما كان يراودها تفكير مجنون يحثها على ترك (علاء) ، والعودة إلى (أشرف) الذى تفتقده كثيراً ..

ويبدو عليها أنها قاربت على اتخاذ هذه الخطوة ، التى ستعيد لها تلك المشاعر التى إفتقدتها ولم تـــــ.....

أعادها إلى الواقع رنين هاتفها فنظرت إلى شاشتة ، لتجد إسم صديقتها فضغطت على زر الرد وقالت بتنهد :

ـ (نونا) ..

فأجابتها صديقتها بسرعة :

ـ حبيبتى يا (ريرى) .. إيه أخبار الساحل على حسك ؟..

فردت (ريهام) بملل :

ـ تمام .. وإنتى عاملة إيه فى شرم ؟..

حكت لها (نونا) عن مغامراتها فى شرم فى دقائق ، ثم صمتت لدقيقة كاملة ، مما دفع (ريهام) لسؤال صديقتها عما تخفيه ، فأجابت (نونا) بتردد :

ـــ بصراحه أنا مش عارفه أوصلك الموضوع إزاى ؟.. بابا إتصل بيا

إمبارح وعايزنى أرجع القاهرة ، علشان نحضر فرح (أشرف) خطيبك .. قصدى اللى كان خطيبك ..

إبتلعت (ريهام) صدمتها بصمت ، وبقيت صامته حتى أكملت صديقتها الحديث :

ــ أنا مش عارفه أحضر الفرح ولا لأ .. بس لو ده هيضايقك خلاص أنا مش هحضر ، مهو أنا مش هخسرك ولا أزعلك منى علشان خاطر فرح يعنى ..

لم تدرى ماذا تفعل أو بماذا تجيب صديقتها ، لكنها تماسكت ظاهرياً وأخبرت (نونا) أن الموضوع إنتهى بالنسبة إليها ، وأن ذهابها من عدمه هو حريتها الشخصية ، ولن يؤثر على علاقتهما أبداً ، ثم أنهت المكالمة ، ووقفت أمام النافذة الزجاجية. تتطلع إلى السماء بشرود حزين ..

(أشرف) سيتزوج ..

من المؤكد أنه وجد تلك الإنسانة المناسبه له والتى توافق على كل أخلاقه وقيوده ، بل من المؤكد أنه مادام قد وصل معها إلى مرحلة الزواج فهى لا تحتاج إلى قيود من الناس لأنها ستكون فى مثل أخلاقه وأفكاره ومبادئه ..

وراحت ترسم فى خيالها ألف صورة لتلك الإنسانة التى سيرتبط بها (أشرف)..

إلا أنها قررت إخراجه من عقلها وقلبها ، لأن القصة قد أنتهت بالنسبة لها الآن سواءً شائت أم أبت ، والحزن واللوعة المختلطان فى مشاعرها الآن بلا فائدة ..

فالتجربة إنتهت على أية حال ، وقد أدركت أنها على أبواب تجربة أصعب وأقوى ، سيكون حسمها هو معركتها فى الأيام القادمة ..

تجربة الإختيار ..
فإمـا أن تبقـى كـما هـى مستسـلمة لنفسـها بـلا قيـود أو ضوابـط ، وتمـارس حياتهـا كـما تربـت وإعتـادت وإختـارت ..
وإمـا أن تصنـع لنفسـها قيـوداً ذاتيـه ، نابعـة مـن تفكـير سـليم ، وإقتنـاع تـام ، وسـاعتها يمكنهـا أن تسـميها أخـلاق .. وليسـت قيـود .

***

obeikan.com

obeikan.com

البلاعة

إحذر من مسمار جحا !!

obeikan.com

فى ذلك الصباح لم تحتوى الجريدة على أى جديد ..
كالمعتاد بضعة صور للجثث والأشلاء المبعثرة ، فى (مصر) و(فلسطين) و(العراق) و(سوريا) و(ليبيا) ، وأغلب الدول العربية والشرق أوسطية ، بطريقة تجعلك تشعر أنك الوحيد الذى لم تخترق جسده بعض الرصاصات بعد ، أو كان آخر ما يسمعه هو إنفجار قنبلة ترسله الى العالم الآخر ..
لذلك مط (الفرماوى) بيه شفتيه ، وهو يطوى الصحيفة ويلقيها بلا مبالاة على الطاولة المعدنية الصغيرة التى أمامه ، فسقط كوب الماء على الأرض وتحطم ، فجاء (فتلة) القهوجى راكضاً وهو يهتف:
ــ ولا يهمك يا (فرماوى) بيه .. فداك مليون كوباية ..
القى (الفرماوى) عليه نظرة سخرية ، فى حين كان (فتلة) يلملم الفُتات الزجاجية ويجفف المياه بعناية وسعادة بالغة ، آملا فى بقشيش كبير من (فرماوى) بيه الملياردير ، الذى يأتى يومياً من فيلته الضخمة ، ليجلس على ذلك المقهى المُعدم ، ويتابع ما يحدث فى الحارة الفقيرة ، والتى يقول عنها دائماً : أنها كنز ..
وفى أثناء ذلك جاء شابان من قاطنى الحارة ، وجلسا خلف (الفرماوى) بيه، وأحدهم يزفر نفس لا يصلح للإستخدام الآدمى ، ويقول :
ــ كل يوم بيتكرر حتى بإحباطه وفشله ..
فقال الآخر وهو يتثاءب :
ــ يا أخى يمكن تُفرج النهاردة ، إحنا لسه في أول اليوم ، قول يا فتاح يا عليم ..
ضحك الشاب الأول بمرارة ، وقال :

ـــ في مناسبة بيحتفل بيها الأكابر والى معاهم فلوس إسمها «عيد الميلاد» ، و النهاردة بقى يوم عيد ميلادى أنا ، مش واخد بالك إنت إن العمر بيجرى والأربعين على الأبواب ..

أجاب صديقه ، وهو يشير برأسه لـــ (الفرماوى) غامزاً بعينه ، ورافعاً صوته متعمداً :

ـــ يا أخى مش يمكن حد ظروفه مرتاحه ، يرأف بينا ويلاقي لنا شغلانة ، وتُفرج ..

وكأن (الفرماوى) رآهم وهم خلف ظهره ، فابتسم بسخرية وقال دون أن يلتفت إليهم :

ـــ الشغل يا حبيبى منك ليه محجوز لولاد الأكابر ، حتى بلدكم لما بتعملكم مسابقات بتبقى عشان ولاد الأكابر يشتغلوا بس بصورة قانونية ،البلد دى مش بتاعت الغلابة ..

وهنا هتف (فتلة) وهو يضع المشاريب أمام بعض الزبائن :

ـــ طيب ماتشوفلهم شغلانه يا (فرماوى) بيه ، والله العيال دى غلبانه وحمير شغل ، وعايزين ياكلوا عيش ..

صمت لحظة واقترب من (الفرماوى) ، وقال بغمزة عين :

ـ مهو أنت برضو تبع الأكابر يا باشا ..

فتلعثم (الفرماوى) ، وتوترت ملامحه وهو يقول :

ـ أكيد .. أكيد ..

ثم أدار دفة الحوار بذكاء ، والتفت الى التليفزيون الذى يعرض الأخبار ، وهتف باستنكار مُصطنع :

ـــ ايه ده يا (فتله) ؟.. إنت مش شايف حالتهم النفسيه إيه ؟.. جايبلهم راجل يقولهم النشرة الكئيبة دى ؟.. فين قنوات الأغانى بتاعت الوظاويظ اياهم ؟.. ابعدهم عن همومهم وأحلامهم الى

obeikan.com

مـش هاتتحقـق ابـداً .. خليهـم يتمتعـوا يـا راجـل .. وهاتلهـم اتنـين شـاى عـلى حسـابى .. عـلى حسـابى يـا (فتلـه)

وعـلى الفـور ركـض (فتلـة) داخـل المقهـى، وهـو يهتـف بطريقتـه المميـزة:

ـ كوبايتين شاى مُفتخر مع قناة الوظاويظ لزينة شباب الحارة ..

هـم احـد الشـابين بقـول شـيئا مـا ، لـولا تلـك الصرخـة التـي انطلقـت فجـأة ، وتلـك الفتـاة التـي اتـت مـن بعيـد راكضـة بملابسـها الحمـراء ، وملامحهـا البغيضـة، وقـد ارتمـت فى حضـن (الفرمـاوى) ، وهـى تهتـف باكيـه :

ـ بابى .. إلحقنى يا بابى ..

جاء (فتله) القهوجى يهتف بانفعال مبالغ فيه :

ـ مالك يا (سونيا) هانم ؟.. خير يا ست الستات ؟..

انتزعـت (سـونيا) نفسـها مـن بـين زراعـى والدهـا ، والتفتـت الى (فتلـه) بغضـب، جعـل ملامحهـا أكـثر بشـاعة ، وقالـت :

ـ مش شغلك يا حقير إنت .. ولاد حارتك الكلاب هما السبب ..

بهت (فتله) وهتف :

ـ ايـه الـلى بتقوليـه ده ياسـت الـكل ؟!.. انـا (فتلـه) .. (فتلـه) ياسـت الحسـن والجـمال ..

وهنا تدخل (الفرماوى) بيه ، قائلاً :

ـ سيبك منه وقوليلى ، إيه اللى حصل ؟..

أخـذت (سـونيا) تشـهق بشـكل غـير طبيعـى ، وهـى تقـول بصـوت متقطـع :

ـ الـ .. البلا .. البلاعـ .. البلاعة ..

أخـذ أهـل الحـارة الذيـن تجمعـوا عـلى صـوت (سـونيا) الأجـش ،

يدلكون رؤوسهم بأصابعهم محاولين فك تلك الشفرة التى نطقت بها الهانم ، إلا ان (الفرماوى) سألها :
ـ بلاعة ايه دى يا (سونيا) ؟!..
فردت (سونيا) هانم وسط دموعها :
ـ بلاعة الصرف الصحى اللى سايبينها المُتخلفين دول مفتوحة عن أول الحارة من كذا سنة ، لأنهم سلبيين ومش عايزين يصلحوا حاجة ، والنهارده إبنى الوحيد كان هيقع فيها ..
رفع (الفرماوى) عينيه من على وجه ابنته ، ودار فى وجوه أهل الحارة ناظراً إليهم بإذدراء ، ثم سأل إبنته :
ـ طيب طلعتي ابنك منها ؟..
إبتسمت فجأة وقالت :
ـ لأ طبعا مهو ماوقعش علشان كان لابس الجزمة المضادة للجاذبية اللى انت جبتهاله من أمريكا ..
تنفس (الفرماوى) الصعداء ، وأخذ (فتلة) يتقافز بفرحة مفتعلة وهو يهتف:
ـ الله أكبر .. الله أكبر ..
فنظر اليه (الفرماوى) وابنته باحتقار وهتف الأول :
ـ أرأيتم نتيجة إهمالكم وسلبيتكم ، عليكم إصلاح هذه البلاعـــ.....
وقبل أن يكمل جملته ، كان الجمع قد تفرق بأسرع مما تجمع ، عندما فهموا ما سيرمى اليه (الفرماوى) ، فهتفت (سونيا) بغضب :
ـ شفت يا بابى ؟.. دول شوية مُتخلفين .. مش راضيين حتى يصلحوا نفسهم، وأنا عايشة جمبهم ممكن يأذونى في أي لحظة .. إنت عارف انهم بيكرهونى.. وبيكرهوا ابنى اللى مفيش أحلى منه ..
وهنا غمغم (فتلة) بسخرية :

ـ آه .. الضفدع ابن الضفدعة ..
إلتفتت اليه (سونيا) هانم وهتفت بغضب :
ـ بتقول ايه يا كلب ؟..
فدقق هو في أنفها المعقوف ، وثم قال وهو يضرب جانب رقبته بيُمناه :
ـ بقول رقبتي ورقبة كل واحد في الحارة فدا الضفدع الصغير .. احم .. قصدي الباشا الصغير ..
فى أثناء ذلك كان (الفرماوى) يحدق في حذاء (سونيا) وإتسعت حدقتاه بهلع، عندما رأى رباط الحذاء ليس معقوداً ، وإنحنى على الفور ليربطه أمام أهل الحاره جميعاً ، الذين كثيراً ماحيرتهم تلك العلاقة الغامضة بين (سونيا) هانم و(الفرماوى) بيه ..
(سونيا) التى إستيقظوا ذات يوم بعد نوم جماعى طويل ، جراء أحد الأفراح والذى شربوا فيه ودخنوا أغلب أنواع الخمور والحشيش ، ثم وفى الصباح وجدوا (سونيا) هذه تقطن بجانب الحارة وتعادى كل من فيها ..
كانت ملتصقة برجل عجوز أعطاها ذلك البيت بجانب الحارة بدون وجه حق ، وأخبرت الجميع أنه والدها ، وكان يغدق عليها الحماية والرعاية ولكن ما أن سقط وشاخ وفقد ثروته ، تركته (سونيا) على الفور ، وعندما وجدت (الفرماوى) في موضع نفوذ وقوة التصقت به ، والعجيب انها أخبرت الجميع انه والدها !!.. والأعجب أنه وافق على كونها ابنته وراح يدللها بكافة الطرق ويحيطها برعايته ونفوذه وسلطته ، للدرجة التي جعلته ينحني ليربط لها رباط الحذاء، بينما تقف هي بشموخ ناظرةً لأهل الحارة نظرة «إهرى يابطة»،بينما قال (فتلة) بنفاق واضح :

ـــ يـا سـلاااااام .. ربنـا يحفظكـم لبعـض .. صحيـح واللـه .. عمـر الـدم مايبقـى عنـاب ..
قالهـا وراح يضحـك بقـوة ،ومـد يـده ليـد (الفرمـاوى) الـذى وقـف كالتائـه وتجاهلـه تمامـاً ، وعندمـا لم يعطيـه يـده ، هـرش (فتلـه) في رأسـه وقـال بإحـراج :
ـ لا مؤاخذه بقى يا باشا .. قهوجي والقافية حكمت ..
أمـا (الفرمـاوى) فـكان شـارداً فى فكـرةِ مـا ، ثـم أفـاق ونظـر حولـه هاتفـاً :
ـ تعالوا .. أنا عندى حل وسط ..
تجمع أهل الحارة أمامه ، وهتف الجزار من وسطهم :
ـ البلاعة دي مفتوحة من زمان وعمرها ما أذت حد ..
تقدم البقال وهو يلوح بيديه هاتفاً :
ـ وبصراحة كده معندناش أي ماديات نصرف عليها ونقفلها ..
وقال السباك بإنفعال :
ـــ والحكومـة مـش معبرانـا نهـائي وكأننـا مـش موجوديـن عـلى الخريطـة..
فرفـع (الفرمـاوى) يـده بجانـب وجهـه ، وكأنـه يسـتعد للشـهادة القانونيـة ، وقـال بأسـلوب مسرحـي مسـتفز :
ـــ أهـل الحـارة الكـرام .. أود أن أزف اليكـم تلـك البـشرى .. أنـا (الفرمـاوى) هصلـح البلاعـة عـلى حسـابي ومـش هاكلفكـم لا مجهـود ولا وقـت ولا فلـوس ، وكل ده ..
صمت وفرد راحتيه بأسلوب تمثيلى قائلاً :
ـ علشانكم انتم .. وعلشان راحتكم وأمنكم وأمانكم ..
هتـف الجميـع بصـوت عـالى وصيحـات غامـرة ، وهـم يلوحـون

بأيديهم ويهتفون بإسم (الفرماوى) ، فى حين هتف الجزار وهو يلوح بالساطور :

ـ اخيراً هنقفل البلاعة اللي حرمتني من ابنى ..

وصرخ البقال :

ـ إحنا معاك ولو هنبيع هدومنا يا (فرماوى) بيه ..

ورفع السباك يديه لأعلى ، وهتف :

ـ تحيا الحكومة ..

ووسط كل هذا تقدم أحد سكان الحارة ، يحمل كتاباً ونظارته الطبية تخفى نصف ووجهه ، وقال بهدوء :

ـ طيب وانت هتعمل كده معانا كده ليه يا (فرماوى) بيه ؟.. انت كل اللى بيربطك بالحارة بنتك اللي ساكنة جمبنا ، وانت حاططها تحت حراسة مشددة ، يبقى ليه هتعمل وتصرف وتتعب علشان خاطرنا .. من إمتى الحب ده يا (فرماوى) بيه ؟!..

سرت همهمات بين الناس تتراوح بين الغضب والحيرة ، فصرخ (الفرماوى) :

ـ لا ده عاجبكم ولا ده عاجبكم .. ربنا ألهمنى أقف جمبكم وأساعدكم ، لأنى عارف الظروف الضنك اللى انتو فيها ، وبعد كده حد يسألنى بعمل كده ليه !!..

تصاعدت همهمات بين الناس كلها انحسمت لصالح الغضب ، فسحبوا ذلك الشاب وارجعوه الى الصفوف الخلفية ، بينما نظر (الفرماوى) الى (فتلة) وهتف بانفعال مزيف :

ـ احكم انت يا عم (فتلة) .. أهو واحد منكم أهو .. بيني وبينكم (فتلة) ..

«حيييييي»

هتف بهذه الكلمة عجوز مهلهل طويل الشعر واللحية ،يمسك بعصا طويلة رفعها وأخذ يشير الى (الفرماوى) بك وابنته ويصرخ :
ـــ حى .. حى ..صدقوه ..فعلاً .. بينه وبينكم (فتلة) ..صدقوه .. بينه وبينكم (فتلة) ..
وانصرف الشيخ وهو يردد كلماته ، بينما كان (الفرماوى) بيه ينظر له باشمئزاز قائلاً :
ـ مين القذر ده ؟..
فردت (سونيا) هانم ، وهى تتابع الشيخ بنظرها فى مقت رهيب :
ـــ ده المجنون (قسطنطين) صاحب الفيلا اللي جمبى ، ومش راضي يتنازلى عنها حتى وهو فى حالته دى !..
فرفع والدها حاجبيه قائلاً فى ذهول :
ـ القذر ده عنده فيلا ؟!..
إبتسمت بفخر قائلة :
ـــ هو مكانش مجنون .. أنا اللى خليته كده .. ثم دى مش فيلته ، دى ملك جدى وهاخدها منه بأى طريقة حتى لو خلصت عليه ..
فمال والدها على أذنها وهمس قائلاً :
ـ وأنا معاكى ..
ثم نظر الى أهل الحارة وهتف مستنكراً :
ـ لكنى أنصح بضبط النفس ..
ثم قال بصوت جهوري :
ـ ها .. قولتو إيه فى موضوع البلاعة ؟..
فهتف (فتلة) بحماس زائد :
ـ عرضك مايترفضش يا (فرماوى) بيه ..
وتوالت موافقات وهتافات أهل الحارة ، وكان هذا كإشارة بدأ فى

إصلاح الحارة وإصلاح البالوعة وبداية عهد جديد ..

***

عاماً بأكمله قد مر على ذلك اليوم ، وكانت ذكرياته تمر بعقل (الفرماوى) بيه ، وهو يجلس على المقهى كعادته ، ويلقى الجريدة جانباً فى لا مبالاة ، فى حين كان (فتلة) يضع أمامه المشروب قائلاً :

ـ رجالتك شغالين تمام عند البلاعة يا (فرماوى) بيه ..

فقال (الفرماوى) ، وهو يتناول المشروب :

ـ لصالحكم يا (فتلة) .. كل ده لصالحكم ..

وضع (فتلة) الصينية تحت إبطه ، ورفع كفتيه عالياً ، ونظر لأعلى وقال بنفاق :

ـ روح يا شيخ إلهى يعمر بيتك .. والله إحنا مش عارفين كنا هنعمل إيه من غير قلبك الحنين ده ..

ثم إنصرف عندما ناداه أحد الزبائن ، فنظر (الفرماوى) أمام المقهى ، فوجد شابين يمران أمامه يرتديان الجلباب الأبيض القصير والبنطال القصير ، وغطاء الرأس الأبيض ، ووجههم مميز باللحية السوداء الطويلة ، فهتف وهو يتقدم نحوهم :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

فتوقف الإثنان ، ونظرا اليه فى غضب ومقت ، فقال مبتسماً :

ـ طب ده السلام لله ..

فقال أحدهم :

ـ لا سلام للكفرة ، وخصوصاً أنتَ ..

اما الثانى فقد أمسك (الفرماوى) بيه من ياقته بقوة ، وهو يهتف بشراسة :

obeikan.com

ـــ إنـت إزاى تعمـل معانـا كـده ؟!.. تقـول علينـا إرهابيـين وتتهمنـا بتدمـير أمـلاكك ؟!.. مـش إنـت الـلى شـجعتنا وحطيتنـا عـلى الطريـق ده ؟!.. مـش إنـت الـلى غرقتنـا بالكتـب الـلى غـيرت أفكارنـا ؟!!.. مـش إنـت الـلى وزعـت منشـوراتنا عـلى الشـباب هنـا ؟!.. مـش إنـت الـلى بنيـت لينـا الزاويـة آخـر الحـارة وخليـت النـاس تسـمعنا ؟؟.. وبعـد ده كلـه تقـول علينـا إرهابيـين ؟!.. تجوعنـا وبعـد كـده تتهمنـا بكُـترة الأكل ؟؟..

ثم القى (الفرماوى) من يديه ، وزميله الآخر يقول :

ـــ سيبه دلوقتى .. قريب ليه يوم ..

ثـم انـصرف الاثنـان مـن أمامـه ، وعـاد هـو الى مقعـده لاهثـاً مـن الخـوف ، ووقـف (فتلـه) خلفـه وهـو يقـول :

ـــ خسـارة واللـه .. العيـال دى مـن سـنه بـس كانـوا بيـدوروا عـلى شـغل .. والحرمـان وقلـة الحيلـه خلوهـم يمشـوا فى الطريـق دى .. أمـا (الفرمـاوى) بيـه فقـد عـاد بذاكرتـه لأحداث عـامِ مـضى ..وبالتحديد الى ذكريـات ذلـك اليـوم الـذى وافـق فيـه اهـل الحـارة عـلى ان يتدخـل هـو لإصـلاح البلاعـة مـع ابنتـه (سـونيا) .. يومهـا إشـترط عليهـم انـه اذا فقـام بإصلاحهـا سـتكون هنـاك مسـاحة معينـة حـول البلاعـة لا يمكنهـم الإقـتراب منهـا ابـداً ، واقنعهـم ان ذلـك سـيكون حمايـةً لهـم ولاولادهـم ..

وبالفعـل تـم كل هـذا ، وأنشـأ تلـك النطقـة المحظـورة لكنـه لم يغلـق البلاعـة نفسـها .. ولكـن مـع مـرور الوقـت إخـترق بعـض الأطفـال أثنـاء لعبهـم البسـيط ذلـك المجـال المحظـور ، فهـاج هـو ومـاج ، وأخـذ يبـكى أمـام الأهـالي عـلى الاضرار التـي قـد تصيـب الأطفـال مـن جـراء فعـل هـذا واتخـذ قـراره بوضـع سـلك شـائك كسـور حـول المنطقـة

المحظورة ، التى هى حول البلاعة ، وبالطبع لم يكن أمام الأهالى سوى الموافقة ، على ماتم بالفعل مع فارق واحد هو أنه تم على نطاق أوسع من المنطقة المحظورة نفسها ..

وأصبح ما حول البالوعة تابع له مباشرةً .. إلا أنه وبعد عدة شهور تم قطع السلك الشائك ، وإلقاء مهملات وإحراقها فى المنطقة المحظورة ، وقام هو باتهام هذين الشابين مع التابعين لهما من أتباع الفكر المتطرف ، وأخذ يحذر سكان الحارة من الإرهاب وعواقبه ثم إتخذ قراره بوضع حراسة على بيوت الحارة التى يمكن أن تكون مخبأ للإرهاب ، وبالطبع لم يكن هناك أى معارضة على الفكرة ..

ثم أعلن أن أفراد الحراسة الذين يقفقون على بيوت الحارة يلزم لهم سكن دائم لهم ، فأخبر الأهالى بأنه سيبنى مساكن للحرس الذى يأمن حياتهم ضد الإرهابيين ، وبالطبع إقترح مكان مناسب لبناء تلك المساكن ، وبدأ فى إنشائها حول السك الشائك الذى يحيط بالمنطقة الزائدة ، التى تحيط بالمنطقة المحظورة التى حول البلاعة ..

قطع افكاره رؤيته لإبنته (سونيا) هانم ، وهى تأتى من بعيد بملابسها الحمراء القانية ، التى تجعلها تبدو وكأنها ترتدى رداء من دم ، وعلى وجهها أمارات الغضب والحقد ، ثم جذبت مقعد وجلست بجانبه ، فلاحظ هو ملامحها فسأل :

ـ فى إيه يا (سونيا) ؟؟..

فزفرت بشدة حتى تناثر اللعاب على وجه والدها ، وهى تقول بمقت :

ـــ انـا مُهـددة يـا بـابى .. مُهـددة بسـبب جـيرتى مـع شـوية المتخلفـين الارهابيـين دول .. كلهـم بيكرهـونى وأنـا مظلومـة وسـطهم ، والحقـير (قسـطنطين) كل مـا اطلعـه مـن فيلتـه بالقـوة ، اصحـى الصبـح الاقيـه جواهـا ، إزاى معرفـش ؟! .. أنـا ضعيفـة وعايـزاك تقـف جمبـى .. عايـزاك تـزودلى الـحراسة ..

إبتسم هو ووقف منتصباً وسط الحاره وهتف :

ـ حبايبى ..

تجمع أغلب الأهالى كالعاده فور أن أطلق ندائه ، فأكمل :

ـــ إنتـو طبعـا أهـل الشـهامة والنخـوة ومايرضيكمـش بنتـى تعيـش وهـى خايفـة جمبكـم .. علشـان كـده أنـا قـررت أضـم فيلتهـا عـلى المسـاحة الـلى فيهـا بيـوت الحـرس الـلى حوالـين البلاعـة ، علشـان تبقـى فى أمـان ..

هـو ذلـك الشـعور اللـزج ، الـذى يجعلـك تلتمـس كل المـبررات والأعذار للظـالم ، حتـى لا تشـعر أنـت أنـك مظلـوم ، وأن لـك حـق يُغتصـب أمـام عينيـك ، وينبغـى الدفـاع عنـه .. هـو نفسـه ذلـك الشـعور الـذى جعـل الأهـالى يوافقـون عـلى تأمـين (سـونيا) التـى تعيـش داخـل فيـلا محاطـة بترسـانة أسـلحة ، ومئـات مـن الحـرس الذيـن يفتشـون الذُبـاب تفتيشـاً ذاتيـاً !..

«يا عم وإنتَ مالك ؟.. أنا مش عايز أشترى منك»

عـلى بُعـد خمسـة أمتـار منهـم ، إرتفـع هتـاف الأسـتاذ (حسـن) الغاضـب بهـذه العبـارة ، فى وجـه (عبـد المسـيح) الكهربـائى ، الـذى رد عليـه قائـلاً :

ـ يعنى أنا غلطان علشان زعلان إنك مش بتشترى منى حاجة

تجهيز الشقة الجديدة ؟!..
رد عليه (حسن) بعصبية :
ــ اه غلطان .. لما تبقى مزود تمن كل حاجة جنية وإتنين تبقى غلطان .. ومالكش الحق تطلب منى أشترى منك ..
فقال (عبد المسيح) :
ــ طب مابتعملش ليه حساب إنى جايب كل حاجة جوه الحاره ومش مخلى حد يتعب ويروح بره ؟..
فهتف (حسن) :
ــ مادام بره أرخص يبقى نجيب من بره ..
فأجاب (عبد المسيح) بسخرية :
ــ مهما بيدوك المُضروب يا مُغفل ..
وهنا تدخل (الفرماوى) بك قائلاً :
ــ لا .. لا .. لا .. أوعوا تخلوا الفتنة الطائفية تفرق بينكم ، إنتو إخوات ..
نظر اليه كل من (حسن) و (عبد المسيح) بذهول ، وقبل أن يفيقا من ذهولهما ، تدخلت (سونيا) هانم ، وهى تقول ببطء :
ــ وأنت يا مقدس (عبد المسيح) ، بلاش تغلط فى الدين الإسلامى ..
وبمجرد ما أنهت حملتها ، تابع والدها مباشرة :
ــ وانت يا (حسن) ماتسبش الدين لحد مسيحى لأن ده بيجرحه..
وهنا هتف (عبد المسيح) غاضباً :
ــ إنت بتسب لى الدين يا (حسن) ؟؟..
فصرخ (حسن) بإنفعال :
ــ إنتَ اللى سبيت لى الدين الأول ..

obeikan.com

وتعالت الأصوات والشتائم وإلتفت الناس حولهما ، وإنسحب

(الفرماوى) و (سونيا) ، من وسط الناس ، والأول يقول فى أسى مصطنع :

ـ مفيش مساواة ولا شفافية .. وتابعت (سونيا) وهى تهز رأسها :

ـ لولانا كانت هتتحول فتنة طائفية ..

قابل (الفرماوى) إمام الجامع الشاب قادماً فإستوقفة وقال له :

ـ ذكرهم بنُصرة أخيهم يا شيخ ..

فإنطلق الشيخ إلى الإشتباك ، وهو يهتف :

ـ أنصروا دين الله ..

أما (الفرماوى) فقد عاد الى مقاعد المقهى ، وهتف :

ـ شاى بالحليب يا (فتله) ..

ثم عاد ينظر من بعيد للناس المتعاركة ، والى رجاله المنتشرين امام بيوت الحارة صامتين جامدين يراقبون ما يحدث ببرود ، ثم سرح بأفكاره وطموحه مرة أخرى .. لما لا ؟.. بعض المشاحنات وإثارة الضغائن أمر قد يأتى بثماره سريعاً .. محاولات خلق إنقلابات وثورات داخل كل بيت على حده ، ستجعل الحلم أقرب كثيراً .. فرق تسُد مبدأ يشير لعبقرية صاحبة بالطبع ، وقد أثبت نجاحه على مر التاريخ ..

لقد شرع فى ضم فيلة (سونيا) والمساحة المحيطة بها إلى المنطقة المحيطة بمسكن الحرس المحيط بالسلك الشائك المحيط بالمساحة التى حول المنطقة المحظورى التى تحيط بالبلاعة .. وكان هذا بموافقة أهل الحارة ومباركتهم ، بعدما اقنعهم أن هذا لحمايتهم وحماية أولادهم من خطر البلاعة ، وخطر الإرهاب الذى يستهدف

obeikan.com

الحـارة ..
ها قد بدأ رجاله فى بناء المساكن الضخمة ، رغم تأكده من أن

هـذا المبنـى سـيُهاجم بوسـيلة مـا مـن الذيـن يرفضـون تدخلـه فى أمـور الحـارة ..
وهـو بالطبـع سـيتذرع بهـذا الأمـر لبنـاء مبنـى أضخـم وجلـب رجـال أكـثر .. وحتـى لـو لم يحـدث ذلـك سـيقوم هـو بذلـك .. سـيدمر مبنـاه بنفسـه ويبليهـا فيهـم ليبنـى مبنـى أضخـم وأضخـم حتـى يبتلـع الحارة كلهـا .. ليصبـح حلمـه شـجرة ضخمـة عاليـة ، تصـل لأعـالى السـماء ..
شجرة ضخمة كانت بذرتها بلاعة مفتوحة !

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

استقالة مذيع أخبار

أخطر عدو هو ذاك الذى تظنهُ صديق !!

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحترم / رئيس القناة ..
تحية عطرة وبعد ..
بـدون الدخـول في مقدمـات لا فائـدة منهـا ، أو كتابـة جُمـل فى غـير موقعهـا ، أو الإكثـار مـن كلـمات لا محـل لهـا مـن الإعـراب ، أرجـو مـن سـيادتكم التكـرُم بالموافقـة الفوريـة عـلى هـذه الاسـتقالة المُسـببة، التـي أقدمهـا لسـيادتكم بعـد تفكـير طويـل ، وقـرار لـن أتراجـع عنـه مهـما حـدث ..
وقـد تشـعر يـا سـيدى بالآندهـاش البالـغ ، وأنـت تسـأل نفسـك : مـا الـذى يدعـو مذيـع أخبـار ناجـح ومعـروف إلى الإسـتقالة ، فى هـذه السـن المبكـرة وفى أوج شـهرته ؟.. بـل وقـد يتبـادر إلى ذهـن سـيادتكم، انى أقـدم هـذه الإسـتقالة كى ألتحـق بقنـاة إخباريـة أُخـرى سـأتقاضى منهـا أجـر أكـبر ، أو حتـى كى أنتقـل إلى القنـوات الفضائيـة التجاريـة ، وأغـير مجـالى إلى مذيـع برامـج ترفيهيـة أو فنيـة سـاذجة مقابـل الآف الـدولارات ..
ولكـن كل هـذا غـير صحيـح ، لأن اسـتقالتي هـذه ليسـت مـن القنـاة فقـط ، بـل مـن الحقـل الإعلامـى ككل ، وكـما قلـت لسـيادتكم فى البدايـة ، أن هـذه الإسـتقالة مُسـببة ، ولأنهـا فعـلاً لسـببين بالتحديـد، فسـأشرح لسـيادتكم السـبب الثـانى وأُرجـئ الأول لنهايـة كلامـى ..
فأنـا - وبمنتهـى الإختصـار - لم أعـد احتمـل تلـك الفـوضى التـى عمـت (مـصر) ، وتلـك التفجـيرات التـى تتكـرر يومـياً ، وذلـك الدمـار الرهيـب

الـذى إتسـع ليـأكل الأخـضر واليابـس .. ولا تظـن أن مـبرر عـدم إحتمالى هـو أنى رقيـق المشـاعر وسـئمت ذلـك الدمـار ، أو لأنى أكـره مشـاهد تلـك الدمـاء التـى تـراق أنهـاراً ، أو لأنى فى عمـلى أُعـانى ضغطـاً عصبيـاً .. بـل سـبب إسـتقالتى هـو شـعور قـوى وإحسـاس يقينـى يسـيطران علىَ بإسـتمرار، بـأنى مشـارك فى تلـك الجرائـم ، أو عـلى الأقـل سـاعدت فى إشـتعال تلـك الفـوضى.. صحيـح أنى لسـت وحـدى الـذى سـاعدت فيهـا بـل هنـاك الكثيرون وربمـا أكـثر منـى ، إلا أن هـذا الشـعور الـذى يسـيطر عـلىَ يصنـع داخـلى عاصفـة شـديدة مـن عـذاب الضمـير ، الـذى لا أقـوى عـلى مقاومتـه ..

أظـن أن سـيادتكم بحاجـة إلى مزيـد مـن التوضيـح والتفسـير .. وأنـا سـأفعل ..

بإختصـار يـا سـيدى نحـن ندفـع الثمـن فى كل مـا يحـدث مـن إرهـاب ودمـار ، لأن الخطـأ خطأنـا مـن البدايـة وقـد إرتكبنـاه منـذ عـدة أعـوام بجريمـة تراكُميـة قمنـا بهـا عـبر سـنوات وسـنوات ، وبالتحديـد منـذ يـوم الحـادى عـشر مـن سـبتمبر عـام الفـين وواحـد ..

فيومهـا قـام ذلـك المجـرم الإرهـابى - أو إرهـابى غـيره فهـذه ليسـت قضيتـى- بتنفيـذ عمليـات تفجيريـة فى الولايـات المتحـدة الامريكيـة ، راح ضحيتهـا العـشرات ، بالإضافـة إلى إنهيـار أكـبر مبنيـين فى العـالم ، وراحـت شـعوب العـالم تبـكى وتشـجب ذلـك الفعـل الوحـشى الـذى لايمـت للإنسـانية بصلـه ..

إلا نحـن وكافـة الشـعوب فى الـشرق الأوسـط جـاء رد فعلنـا فى غايـة الغرابـة والقسـوة ، حيـث فرحنـا فرحـاً شـديداً ، بـل وامتـد فرحنـا الى الهُتـاف والغنـاء والرقـص فى الشـوارع ..

وإن كانـت هـذه الفرحـة هـى فرحـة المظلـوم فى أذيـة الظـالم ، لكنهـا

أخفت علينا شيئاً هاماً ، وهو أن الذين قُتلوا فى تلك العمليات الإرهابية ، لم يكونوا من السياسيين الظالمين ، أو رجال الحرب من الجيوش المُحتلة ، بل كانوا مدنيين أبرياء لا حول لهم ولا قوة ، وربما أيضاً من المعارضين لسياسات دولتهم ..

كل العالم وقتها كان يقول أنهم إرهابيون ما عدا نحن ، وهنا كان الخطأ والجريمة ، لأننا غرسنا فى عقول شبابنا الصغير ، أن هؤلاء ليسوا إرهابيين أو مُجرمين ، بل أظهرناهم أمامهم كأبطال الأساطير وأئمة الإيمان الذين يمثلون الأمل الوحيد فى الخلاص من الظلم، للدرجة التى جعلتنا نقيم صلاة الغائب ونبكى ونندوح عندما تمت تصفية (بن لادن) على حد قول الأمريكيين ، وللأسف شبابنا الصغير سمع وإقتنع وآمن بذلك ..

ثم إتجهت الأنظار الى الأراضى الفلسطينية المُحتلة وما يحدث عليها فى الإنتفاضة الثانية ، من تلك العمليات التى كانت تتم ضد قوات الإحتلال الإسرائيلية ، والتى إتفقنا جميعاً على الفخر بها وتسميتها بـ (العمليات الإستشهادية) ، لأنها تتم ضد قوات مُحتلة ظالمة لم تترك للشعب سبيلاً سوى هذا ..

لكن الأمر لم يبق كما هو ، وإنتقلت هذه العمليات الى محور أخر ، عبارة عن شخص يحيط خصره بقنابل ومتفجرات ، ويذهب إلى قلب إسرائيل ويقوم بتفجير نفسه ، فى حافلة مليئة بالنساء والأطفال ، أو فى شارع أو مطعم ملىء بالمدنيين الذين لا يفهمون شيئاً فى العسكرية ، والذين ربما يكون فى بينهم من يعارض سياسة دولتهم الدموية المُحتلة ..

ويتعالى صوت الصرخات وتتناثر الدماء والأشلاء ، والعالم كله وسط دموعه يصف ما يحدث بالإرهاب حتى بعض الفلسطينيون

العقلاء ، ما عدا نحن ظللنا نصفهم بـ (العمليات الإستشهادية) ، ونصنع منهم أبطالاً وشهداء ، ونصف المجنى عليهم من المدنيين بالـ (قتلى) ، وللمره الثانية شبابنا الصغير سمع وإقتنع وآمن ..

ثم حدثت تلك الحرب اللا أخلاقية على العراق ، تبع خطة مدروسة لتفكيك وتحطيم الدول العربية ، فتكرر الأمر هناك بعدما وجد الإرهابيون طريقهم الى بلاد الرافدين ، وظهر العشرات الذين يحيطون أجسادهم بالقنابل ويفجرون أنفسهم ، ويقتلون جندياً واحداً من القوات المُحتلة ، ومعه مائة مواطن عراقى مدنى لا ذنب له ..

ثم تم إستثناء الجندى المُحتل ، وأصبح القتلى والجرحى كلهم من المدنيين الأبرياء تحصدهم مئات القنابل البشرية والسيارات المُفخخة والعبوات الناسفة ، التى راحت تنفجر فى كافة المدن العراقية يومياً بلا إستثناء ..

العالم كله وقتها تحدث عن الإرهاب فى العراق ، أما نحن كالعادة رفعنا رؤوسنا ونفخنا صدورنا ، وأقحمنا الدين وسط نيران القنابل، وأطلقنا عليها (المقاومة العراقية) ، وسط عاصفة من الكذب والتزييف أعمت ضمائرنا وأفسدت إعلامنا ، فأسمينا الإرهاب مقاومة ، والمجرمون مجاهدون ، دون أن ندرى أن الأمر تحول من مقاومة إحتلال إلى حروب طائفية وتصفيات عرقية ..

حتى دفعنا الثمن لأول مرة عندما إختطفت تلك المقاومة سفيرنا المصرى فى العراق ، وذبحه المجاهدون دون أن يطرُف لهم جَفن ، فغيرنا نظرتنا قليلاً لكن سياساتنا لم تتغير ، ولم نستطع التفرقة بين المقاومة والإرهاب بعد ، لأننا كنا نتبع فلسفة (عدو عدوى هو صديقى) ولم نعلم أن أخطر الأعداء هو ذاك الذى نظنه صديق ،

وأن عدو عدونا هذا من الممكن جداً أن يتحول لعدائنا إن فعلنا ما يتعارض مع أفكاره ومنهجه ..

ووسط جهلنا وغفلتنا شبابنا الصغير سمع وإزداد إقتناعاً وايماناً وجاء وقت تطبيق ما سمعوه وآمنوا به ، وكانت البداية تتمثل فى بعض الأعمال الفردية لبعض الشباب المصريين ، سلموا أنفسهم للجماعات المتطرفة ، التى جعلناها تمثل البطولة والعروبة والدين، وصنعوا قنابل بأنفسهم بإرشاد من جهات خارجية أصابت المصريين والاجانب معاً ..

ثم انتشرت هذه الأعمال الإجرامية فى جميع البلدان العربية تقريباً، حتى تلك التى لا تعانى من إحتلال أو إستعمار ، حتى أن أفراح تحولت الى مآتم، وضحكات تحولت الى بكاء ، وزغاريد تحولت الى صرخات ، وأفاق البعض من غفوتهم الطويلة ..

الكثير من المثقفين والأدباء بل والسياسيين أيضاً ، أدركوا خطورة ما أطلقنا عليه (العمليات الإستشهادية) خاصة عندما إنتقلت إلى (مصر) ، بضربات بنفس الأسلوب الذى كنا ندعوه استشهادي فى (شرم الشيخ) و (دهب) ، وبعدما اكتشفت الأجهزة الأمنية أن بعض الفلسطينيين الذين ندافع عنهم وعن حقوقهم ، جاء بعض متطرفيهم الى أراضينا وخربوا فيها مثلما حدث فى (طابا) ..

وأخيراً قلنا العمليات الإرهابية ، لكن بعد فوات الأوان ، واعترفنا بهذه الحقيقة متأخرين جداً بعدما فقدنا الكثير ، ولم نكن نعلم أن الكارثة قادمة ، حتى جاء وقت الحصاد عندما قامت الثورة ، وكان الشعب البسيط يسعى لحياة أفضل ، وبمجرد سقوط النظام بدأ الذين تربوا على النيران والقنابل فى الخروج على السطح وارتداء عباءة السلمية والديموقراطية ، ومطالبين بنظام حاكم لونوه بلون

الديـن الـبرئ منهـم ، ومـا أن سـقط هـو الأخـر حتـى ظهـرت الوجـوه عـلى حقيقتهـا ..

إشـتعلت سـيناء بالـدم والنـار ، وإنفجـرت القنابـل فى كل مـكان ، ودوى صـوت الطلقـات يحصـد أرواح أبنائنـا المُجنديـن الذيـن لا ذنـب لهـم سـوى أنهـم يـؤدون ضريبـة الـدم لبلادهـم ، التـى أضحـت فريسـة سـهلة بـين أنيـاب عـدو صنعنـاه بأنفسـنا ، وإرتـوت الرمـال هنـاك مـرةً أخـرى بالدمـاء المصريـة ، لكـن الجـانى لم يكـن مُحتـلاً ، وإنمـا مـن نفـس اللغـة والديـن والأصـل ..

يوميـاً ضحايـا مـن المدنيـين والشرطـة والجيـش وإغتيـلات لا تتوقـف ، حتـى أن يومـاً واحـداً لا يمـر دون دمـاء وإنفجـارات وخـراب مـما أدى إلى إسـتنزاف طاقـة الدولـة ، وقـد فقدنـا قـوات مـن الشرطـة ومكافحـة الارهـاب ، وفقدنـا الكثـير مـن الضحايـا مـن مختلـف الجنسـيات والأديـان ، بالإضافـة إلى السـياحة والدخـل والإقتصـاد ، وفقدنـا الأمـن والأمـان ، وهـا قـد وصلنـا الى مرحلـة الفـوضى ..

هـل تتذكـر يـا سـيدى منـذ سـنوات ، عندمـا كانـت أى شـخصية عالميـة تتحـدث عـما يحـدث وتصفـه بالإرهـاب ، مـاذا كنـا نفعـل عنـد نقـل الخـبر للشـعب ؟.. كنـا نقـول بعـد كلامـه مبـاشرةً «عـلى حـد قولِـه « أو «عـلى حـد زعمِـه» ، وكأننـا نقـول للشـعب أنـه مخطـئ ، وأن الحقيقـة أن هـؤلاء المجرمـون أمـل الأمـه فى النـصر الـذى نرجـوه مـن السـماء دون أن نسـعى لتحقيقـه عـلى الأرض ..

نسـينا أن مـن قتـل نفسـاً بغـير نفـس أو فسـاد فى الأرض فكأنمـا قتـل النـاس جميعـاً .. وقـد قتلنـا أجيـالاً كاملـه قتـلاً فكريـاً ، وقـد تعاونـا – حتـى لـو دون وعـى أو قصـد - عـلى الإثـم والعـدوان ، وابتعدنـا بغبـاء عـن الـبر والتقـوى ، وهـا مـن زرع الفكـر الملـوث يجنـى ثمـاراً سـامه

قاتلة ، دون أن نعلم متى سينتهى هذا ..
فقط الذى أعلمه هو أننا ندفع الثمن ، لأننا قد زرعنا فى عقول شبابنا العربى معانى خاطئة ومدمرة بعنادنا وتأييدنا للارهابيون ، لمجرد فقط أنهم أعداء لأعدائنا ، ولم ندرى ولم نتخيل أنهم أعدائنا نحن أيضاً ، بل أعداء الحياة بأكملها ، وللأسف أدركنا ذلك ، ونحن نلفظ أنفاسنا الأخيرة تحت أقدامهم ..
هل عرفت يا سيدى لماذا قلت فى البداية أننا ندفع ثمن ما فعلناه ؟.. وها أنا قد أوضحت لك جريمتنا جميعاً أنا وأنت وكل الإعلاميين بل ووزير الاعلام شخصياً ، والعقليات المُتخلفة والدعاة المتطرفون والجهل الذى أعمانا عن رؤية الحق والحقيقة ..
سيدى مدير القناة ، أرجو ان أكون نجحت فى توضيح سبب إستقالتى الثانى، وأرجو أيضاً أن يتم قبولها فوراً ، لأنها ـ وكما قلت ـ استقالة لا رجعة فيها ، لكن قبل أن أختمها سأخبرك بالسبب الأول وسط دموعى ووجعى ..
أرجوكم يا سيدى كونوا رفقاء .. كونوا مُنصفين حين تنقلون للناس خبر ذلك الشاب الرياضى الوسيم المُتعلم الواعى ، إبن مُذيع الأخبار الشهير الذى هرب من وطنه لينضم لحركة (داعش) الدموية سافكاً الدماء وقاطعاً للرقاب وحارقاً للبشر ، مقتدياً بأولائك الإرهابيون المجرمون ، الذين كنا ندعوهم أبطال ومجاهدون ..
ساعات قليلة ويتناقل الكل صور إبنى مع غيره من الشباب الذين تربوا على خلط المسميات ووضع الأمور فى غير نصابها ، ليصبحوا مجرد آلات للتدمير والقتل ، لأننا بطبيعتنا شعب مُتلقى يستمد معظم وعيه من الإعلام والإعلاميين ..

كونـوا رفقـاء وحاولـوا مـن جديـد أن تصنعـوا إعلامـاً صادقـاً ، إعلامـاً يمنـح الحيـاة ولا يسـلبها ، إعلامـاً ينـير العقـول ولا يزيدهـا ظلامـاً ، إعلامـاً يمكـن أن يقـف فى وجـه التطـرف والإرهـاب ، ويوضـح كيـف تكـون المقاومـة المشروعـة عـن الحـق، لأن سـاعتها فقـط سينشـأ جيـل جديـد ، يفهـم ويعـى معنـى الحيـاة ومعنـى الإعتـدال ، ويمكنـه الوقـوف فى وجـه مـا يحـدث ، والتغلـب عليـه ، وإصـلاح مـا فسـد ، وسـاعتها فقـط أيضـاً ، يمكننـا بنـاء عقـل جديـد .. ووطـن جديـد .

توقيع
مذيع نشرة الأخبار اليومية

obeikan.com

بابا نويل يحبك جداً

وهْمٌ يجعلنا أحياء أفضل من حقيقة تقتُلنا !!

obeikan.com

obeikan.com

ظـل يتململـ عـلى فراشـه الصغـير عـدة مـرات , دون أن ينجـح في بلـوغ النـوم أبـداً ..
وحـاول أن يغمـض جفنيـه أكـثر مـن ألـف ألـف مـرة , لكـن محاولاتـه كلهـا بائـت بالفشـل ، فجـذب بيـده الصغـيرة غطائـه , حتـى يكسـو جسـده الضئيـل , في حـين كان قلبـه الـبريء ينبـض بقـوة , وعقلـة الطفـولى يلهـث مـن كـثرة التفكـير ..
يجب أن ينام .. في هذه الليلة بالذات يجب أن ينام..
إنها ليلة رأس السنة..
الموعد ..
وتنهـد بتوتـر عندمـا بلـغ بتفكـيره هـذه النقطـة , وتقلـب بجسـده الصغـير حتـى وقعـت عينـاه عـلى صـورة والـده , المعلقـة عـلى الحائـط المواجـه لـه ، وشردت عينـاه وإبتسـم .. وتذكـر ..
«كل ليلة رأس سنة بيدخل بابا نويل من الشباك»
«كل ليلة رأس سنة بيسيب لك هدية جمب السرير»
«كل ليلة رأس سنة وأنت طيب يا حبيبي»
إتسـعت إبتسـامته وهـو يتذكـر كلام والـده , الـذي يشـتاق إليـه كثـيراً لأنـه لم يـراه منـذ أن أخـبروه أنـه ذهـب إلى السـماء ، فتنهـد مـرةً أخرى وإنحفـر قلـق طفـولى جميـل عـلى ملامحـه حـين تذكـر الـشرط ..
«لازم تكون نايم»
«بابا نويل مش بيجى لك غير لو نمت»
«لازم تنام عشان يجيب الهدية»

ثـم عـادت الإبتسـامة المشرقـة تسـطع عـلى شـفتيه , عندمـا تذكـر كـم كان والـده صادقـاً في كلامـه .. فعـلى مـر ثلاثـة سـنوات ماضيـة , كان ينـام كل ليلـة رأس سـنة ويسـتيقظ صباحـاً , ليجـد بجانـب السريـر هديـة جميلـة محاطـة بلفافـة لامعـة, ويعلوهـا شريطـاً ملونـاً معقـوداً عـلى هيئـة فراشـة رقيقـة !!..

وبجانب تلك الفراشة ذلك الكارت الصغير ..

وهنـا إبتسـامة كبـيرة جـداً وأزاح غطائـه , وإندفـع نحـو دولابـه الخـاص ليتنـاول مـن داخلـه ذلـك الصنـدوق الصغـير , التـي تـتراص عليـه رسـوم لأشـهر الشـخصيات الكرتونيـة , والـذى فتحـه ليجـد بداخلـه ممتلكاتـه الخاصـة , التـي تتكـون مـن بعـض الدُمـى البلاسـتيكية الصغـيرة وبعـض الأجـزاء التـى قـرر الإحتفـاظ بهـا مـن لُعـب أتلفهـا ، وبعـض المكعبـات التـى فقـد أجـزاء منهـا فظلـت مجـرد صـور ناقصـة .. وتلـك البطاقـات ..

ثـلاث بطاقـات مزينـة بالرسـوم والـورود , عـلى جانبهـا وجـه بابـا نويـل المبتسـم وتتوسـط البطاقـات تلـك الجملة..

(بابانويل يُحبك جداً)

تلـك العبـارة التـي يحبهـا هـو , ويحفظهـا عـن ظهـر قلـب , والتـي أصبحـت مـن الجمـل التـي يسـتطيع قراءتهـا بوضـوح وتمييزهـا مـن بـين ألـف كتـاب وكتـاب .. تلـك العبـارة التـي يكتبهـا لـه بابـا نويـل عـلى كل هديـة أحضرهـا لـه عـلى مـدار الثـلاث سـنوات السـابقة .. ظـل ينظـر إلى تلـك البطاقـات ثـم نظـر إلى النافـذة , التـي تركهـا نصف مفتوحـة رغـم الـبرد القـارص الـذي يدخـل عبرهـا , لأنـه كان يتمنـى مـن كل قلبـه أن يدخـل بابـا نويـل بينـما يكـون هـو مسـتيقظاً , حتـى يـراه حقيقـةً وحتـى لا تقتـصر معرفتـه بـه عـلى تلـك الدُمـى التـي كان

يحضرها له والده لشخصية بابا نويل بزيه الأحمر ولحيته البيضاء التي تتشارك في اللون مع أطراف ثوبه..
ولكن كلام والده كان واضحاً .. والشرط كان أوضح .. لابد من النوم..
لذلك مط شفتيه فى عدم رضا عن أسلوب بابا نويل المتعنت هذا , وأعاد صندوقه الخاص إلى دولابه , ثم تسلق فراشه مرةً أخرى وعدل ملابسه كعادته قبل النوم وقد تذكر حين كان والده يراه يفعل هذا يضحك كثيراً ، ويتكلم عن شيء يدعى (الجينات الوراثية) ..
وسحب غطائه ووضع رأسه على وسادته بعصبية ، إلا أنه وفجأة قفز إلى ذهنه هذا السؤال ..

تُرى .. ماذا ستكون هدية بابانويل هذا العام ؟...
هل ستكون طائرة كبيرة كهدية العام الماضي ؟..
أم ستكون عربة ضخمة كالعام السابق له ؟..
أم ستكون .....
.....

لكن تفكيره توقف فجأة عندما حدث شيء غريب !!..
لقد بدأت ملامح غرفتة تتغير ببطأ تدريجى !!..
إختفت الحوائط والباب والنوافذ والدولاب والسرير ، وأصبح كل مايحيط به هو مساحه بيضاء واسعة من الثلج الناصع البياض الذى يميز فصل الشتاء القارص فى بعض البلدان ، والذى لم يراه سوى على شاشة التلفاز وفى أفلام الرسوم المتحركة !!..

فـراح هـو يتلفـت حولـه بحـيرة بالغـة ليسـتطلع بفضولـه الطفـولى ذلـك المـكان الجديـد ، الـذى وجـد نفسـه فيـه .. وأثنـاء ذلـك شـعر بحركـة خفيفـة خلفـه .. فاسـتدار بسرعـة ، واتسـعت عينـاه بذهـول وفرحـه !!..

إنه هو !!..

بابانويل !!..

نعم هو !!..

نفـس الـرداء الأحمـر .. واللحيـة البيضـاء التـى يشـاهدها عـلى شاشـة التلفـاز ، وفى تلـك الدُمـى التـى تمـلأ غرفتـه !!..

لكن الملامح تختلف !!..

ورغـم أنهـا ملامـح مختلفـة عـن الصـور والدُمـى ، إلا أنهـا تبـدو لـه مـألوفة !!.. بـل ومألوفـة أكـثر مـن الـلازم !!..

لكنـه لم يجهـد عقلـه فى البحـث عـن تفسـير لأن فرحتـه العارمـة كانـت كفيلـه بإلهائـه عـن أى تفسـير أو منطـق ، خاصـةً مـع ذلـك الكـم الهائـل مـن الهدايـا واللعـب التـى يحملهـا بابانويـل عـلى ظهـره..

لذلك لم يتمالك هو نفسه من الهتاف بصوت عالى .. «بابانويل»

ومـا زاد مـن فرحتـه هـو إبتسـامة بابانويـل التـى إتسـعت بـإشراق ، خاصـةً عندمـا كلمـه بصوتـه الهـادئ ، والـذى بـدا أيضـاً مألوفـاً لأذنيـه جـداً .. «كل ليلـة رأس سـنة وانـت طيـب يـا حبيبـي»

فهتف هو وقال بفرح .. «أخيراً شوفتك»

فابتسـم بابانويـل إبتسـامة بـدت لـه حزينـة بعـض الـشيء وتكلـم .. «أنـا كـمان كان نفـسى أشـوفك»

حيرتـه كثـيراً تلـك الإبتسـامة الحزينـة ، إلا أن مـا كان يسـيطر عـلى عقلـه هـو أمـر محـدد ، وقـد ترجمـه عندمـا مـد يـده وهتـف .. «فـين

obeikan.com

هديـة السـنة دى بقـى ؟»
شـعر بحـيره أكـبر عندمـا نظـر بابانويـل إلى الأرض ، بحـزن بالـغ وصمت طويـلاً، ولم يجبه بـشيء !!..
فاقـترب هـو خطـوة وأمسـك بيـد بابانويـل ، وسـأل بخفـوت طفـولى .. «إنـت مـش هتدينـى هديـة إنهـارده ؟»
أشـاح بابانويـل بوجهـه بعيـداً ، ثـم نظـر إليـه وتكلـم بصـوت حـاول أن يجعلـه مرحـاً .. «انـت عـارف أنـا هاقـضى ليلـة رأس السـنة فـين ؟» سأل الصغير بلهفة .. «فين ؟»
فأجاب بابانويل وهو يشير بأصبعه بعيداً .. «فى بيتى الجديد»
نظـر هـو إلى ذلـك المنـزل البسـيط ، الـذى يشـبه تلـك المنـازل التـى يراهـا فى أفـلام الرسـوم المتحركـة ، بسـقفه مثلـث الشـكل ولونـه الرائع، ومدخنتـه التـى تعلـوه ، وتلـك الأشـجار العاليـة التـى تحيـط بـه !!..
فابتسم الصغير وهتف بفرح .. «بيتك حلو جداً»
وأشـار بإصبعـه وقـال بلهفـة ، وهـو يبـدأ ركضـه نحـو المنـزل .. «هاروح معـاك هناك»
لكـن بابانويـل أمسـك ذراعـه بسرعـة وفـزع ، وأوقفـه قبـل أن يتحـرك مـن مكانـه، وهـو يهتـف بصـوت مرتعـش .. «لأ»
فاندهـش الصغـير مـن رد فعـل بابانويـل ، وظهـر الحـزن عـلى وجهـه ، وهـو يسـأل .. «إنـت مـش عايـزنى أروح معـاك بيتـك»
وفكـر قليـلاً بحـزن ثـم قـال .. «ماتخفـش مـش هابـوظ أى لعبـة هنـاك»
أجـاب بابانويـل بصـوت متهـدج .. «مـش دلوقتـى .. مـش دلوقتـى يـا حبيبـى .. ربنـا يديـك العمـر»

لم يفهم الصغير معنى هذا الكلام وقبل أن يسأل ، تكلم بابانويل بلهفه .. «ممكن أحضنك ؟»

فابتسم الصغير وهز رأسه إيجاباً بسرعة ، وهو يرفع إصبعه أمام وجهه ، ويقول مبتسماً .. «ممكن طبعاً ، علشان ماتقولش أنا حرمتك من حاجة»

إبتسم بابانويل بنفس الحزن غير المفهوم ، ثم جثا على ركبتيه وأمسك بكتفى الصغير ، وتكلم .. «أنا بحبك جداً»

إتسعت إبتسامة الصغير ، وقال .. «منا عارف .. إنت بتكتبها لى كل سنة على الكارت إياه»

ثم صنع بأصبعيه السبابة والإبهام شكل بطاقة التهنئة ، وغمز بعينه ببراءة، وقال .. «بابانويل يُحبك جداً»

فدمعت عينا بابانويل ، وهو يقول بخفوت .. «أنا كمان بحبك جداً»

نظر الصغير فى عينى بابانويل ، وقد وجدهما متطابقتان لعينان يعرفهما جيداً !!..

وفجأة !!.. تذكر لمن كانتا هاتان العينان !!.. وكاد يهتف بكلمة واحدة !!.. كلمة لم ينطقها منذ فترة !!..

لكن الكلمة توقفت على لسانه عندما جذبه بابانويل إليه برفق واحتواه بين ذراعيه ، وشعر بدفئ عجيب !!..

عجيب لدرجة لا توصف !!..

وفجأة إستيقظ !!..
كان قد غرق في النوم , أثناء تفكيره في هدية هذا العام , لكنه قد استيقظ فجأة عندما تسللت أشعة الشمس , عبر النافذة نصف المفتوحة , وسقطت على وجهه ..
وفور أن فتح عينيه وتذكر كل شيء خفق قلبه بقوة , وهو ينظر إلى النافذة التى مازالت مفتوحة ، على عكس كل عام حيث كان يستيقظ ليجد بابانويل قد أغلقها قبيل إنصرافه !!..
لكنه لم يعير الأمر أى إهتمام وهو يقفز من تحت غطائه , ويتوقع رؤية الهدية ككل مره ..
فنظر في نفس المكان بجانب السرير .. ونظر .. ونظر ..
ثم دلك عيناه بيديه الصغيرتين ونظر مرةً أخرى ، لكنه لم يجد شيئاً !!.. لم يجد هدية جميلة أو لفافة لامعة أو عقدة كالفراشة !!..
أو ذلك الكارت الملون !!..
وهنا .. دمعت عيناه ..
لكنه لم يستسلم .. لقد بحث في الناحية الأخرى للفراش .. ثم بحث تحت الفراش نفسه .. ثم الدولاب .. ثم الغرفه بأكملها .. لكنه لم يجد شيئاً ..
وهنا .. سقطت من عينه دمعة ساخنة في أول أيام العام الجديد!!..
وظل يدور حول نفسه داخل الغرفة في حيرة اليائس الذي يبحث عن أمل في أرض اللا أمل ..
ولأنه كالغريق الذي يبحث عن أي قشه ليتشبث بها , فقد جاءه خاطر آخر !!..
فربما يكون بابانويل قد أحضر الهدية , ولكن أمه قد أخذتها حتى لا تنكسر تحت الفراش .. أكيد أن هذا ما حدث ..

ولم يكـد هـذا الخاطـر يقفـز إلى ذهنـه , حتـى خـرج بسرعـة مـن غرفتـه ، وذهـب إلى غرفـة والدتـه وطـرق البـاب ، فلـم تجيبـه أمـه مـن الداخـل .. فطـرق ثانيـةً ثـم فتـح البـاب فى هـدوء ، ليجـد أمـه واقفـه أمـام صـورة والـده المعلقـة عـلى الحائـط في صمـت .. فـدار بعينيـه فى كل أركان الحجـرة فلـم يجـد شـيئاً !!..

فابتلع ريقه بصعوبة ، وهمس بصوت مبحوح ..»ماما»

فمسـحت الأم خديهـا باصابعهـا في حركـه متوتـرة , ثـم نظـرت لـه بإبتسـامه هادئـة , لكـن عيناهـا المحمرتـين كانتـا تصرحـان بكـذب تلـك الإبتسـامة..

فسـأل هـو السـؤال الـذي يخـشى إجابتـه وينتظرهـا في نفـس الوقـت .. «هـو بابانويـل جـاب لى حاجـة ؟»

فاختفـت ابتسـامة الأم , وتجمـدت ملامحهـا , وكأنهـا قـد تذكـرت شـيئاً مـا .. ودون وعـى هـزت رأسـها نفيـاً ..

وفـور أن فعلـت هـذا , إرتعشـت شـفاه الصغـير , والتمعـت الدمـوع مـرةً أخـرى في عينيـه , وهـو يسـأل بتقطـع .. «هـو أنـا عملـت حاجـة زعلـت بابانويـل منـى؟»

فتمالكـت الأم نفسـها بصعوبـة , وحاولـت تهدئتـه .. «أكيـد هيجيـب الهديـة بكـره يـا حبيبـى»

إلا أنـه تذكـر ذلـك الحلـم العجيـب ، وكل ماحـدث فيـه بينـه وبـين بابانويـل .. وبصـوت متحـشرج , وبحـروف تقطـر حزناً قـال .. «بابانويل مابقـاش يحبنـى زى الأول»

وهنا لم تحتمل الأم .. لم تحتمل أبداً ..

فانهـارت باكيـة , وإتجهـت نحـوه وإحتضنتـه بقـوه , وأجابتـه .. «ماتقولـش كـده يـا حبيبـى»

obeikan.com

ثـم إحتضنـت وجهـه الصغـير بـين كفيهـا ، ومسـحت تلـك الدمـوع التـى انسـابت خـارج عينيـه ، وهـى تقـول بصـوت متهـدج .. « هـو ماحبـش فى حياتـه حـد زيـك»

سمع هذا وهو يبكى في غزارة ..

كان يشعر بقلبه الصغير , أن هناك صدمة في الطريق إليه ..

وقد كان ..

فقـد جلسـت أمـه عـلى الأرض , وأجلسـته عـلى قدميهـا , وضمـت رأسـه إلى صدرهـا , باكيـةً بغـزارة , وهـى تنظـر إلى صـورة زوجهـا الـذي رحـل عنهـم منـذ ثلاثـة أشـهر ..

وحكـت لـه أشـياء كثـيرة كانـت تحـدث فى مثـل هـذه الليلـة مـن كل عـام ..

حكـت لـه عـن ليلـة رأس السـنة .. عـن هديـة تكـون موجـودة في المنـزل قبلهـا بأيـام .. عـن أقـدام تخطـو نحـو غرفتـه بهـدوء .. وأصابـع تضـع هديـه جميلـة بلفافـة لامعـة وعقـدة كالفراشـة بجانـب السريـر.. وبطاقـة ملونـة مكتـوب عليهـا .. «بابانويـل يُحبـك جـداً» ..

وإغلاق النافذة المفتوحة ..

حكـت لـه عـن شـفاه تطبـع قبلـة حانيـة عـلى جبينـه وهـو نائـم .. وهمـس خافـت...»كل ليلـة رأس السـنة وانـت طيـب يـا حبيبـي» .. وأيـدٍ دافئـة تسـحب غطائـه عـلى جسـده الصغـير .. وقبلـة مُحبـة تُطبـع عـلى جبينهـا هـي .. و ذراعـين كانـت تسـتكين بينهـما ..

ثـم تَقَطَـعَ صوتهـا وتواصلـت دموعهـا وهـى تحـكى لـه عـن القـدر .. الفـراق .. الإحتيـاج .. وضعفهـا ..

ثـم ربتـت عـلى ظهـره بحنـان وهـى تحـكى لـه عـن إرادة اللـه .. حنانـه.. سـمائه.. وجنتـه ..

obeikan.com

حكـت لـه كل هـذا وهـى تبـكى وهـو يبـكى .. لقـد اسـتوعب عقلـه الصغـير الموقـف والصدمـة ..

وبعينـين تغرقهـما الدمـوع , وبذهـن يسـترجع ذلـك الحلـم نظـر مـن بـين ذراعـى والدتـه ، إلى الصـورة المعلقـة عـلى الحائـط , وهـو ينطـق بصـوت مُتقطـع بـاكى ، بتلـك الكلمـة التـى توقفـت عـلى لسـانه فى حُلمـه .. «بابـا»

لقد أدرك أن كل ما كان ينتظره لم يعد له وجود ..

لم تعد هناك ليلة رأس سنة أو هدية أو فرحة فيما بعد ..

فكل هذا قد رحل مع بابا .. بابانويل .

***

opeikan.com

الوسام

يرحلون عنا تاركين أثراً رائعاً لا يرحل أبداً !!

obeikan.com

obeikan.com

إرتديت الزى العسكرى الخاص بى بحرص شديد كعادتى ..
وكعـادتى أيضـاً كنـت فرحـاً فخـوراً ، معتـداً بـه ، مرفـوع الهامـة ، وقامتـى مفـرودة، متمسـكاً بالوقفـة العسـكرية حتـى عنـد إختـلائى بنفـسى ..
وككل يـوم عنـد إرتـدائى لهـذا الـزى العسـكرى ، أقـف أمـام المـرآه منتصبـاً ، مفـرود الظهـر متأمـلاً نفـسى وأنـا أرتديـه ، وأسـأل نفـسى سـؤالاً هامـاً ..
هل أعطى أنا هذا الزى حقه ؟؟..
هل أراعى كرامتة وعظمتة ؟؟..
والواقـع أنـا أشـعر بالفخـر .. كل الفخـر .. لأن الإجابـة عـلى هـذه الأسـئلة هـى دائمـاً .... «نعـم» ..
فى كل يوم يتأكد لى إحترامى لهذا الزى العسكرى ..
كل يوم أراعى حقوقه علىَ وواجباتى نحوه ..
كل يوم ..
وإلتقطـت نفسـاً عميقـاً قويـاً ، وأنـا أتفحـص بعينـى كل سـنتيمتراً ، وكل تفصيلـة فى الـزى العسـكرى .. فهـو حيـاتى بأكملهـا .. المنقـضى منهـا والباقـى ..
أعطيـت ظهـرى للمـرآه ، وكالعـادة أيضـاً رحـت أتحسـس بأطـراف أصابعـى ذلـك الموضـع الأيـسر مـن صـدرى الـذى تـتراص عليه النياشـين والأوسـمة التـى حصلـت جـاءت لحيـاتى ، بـل وأحفـظ تاريـخ حصـولى عـلى كل وسـام منهـم بالسـنة والشـهر واليـوم ، ولـن أبالـغ إن قلـت بالسـاعة أيضـاً ..

وفجأة ..
إرتجت أعماقى بعنف ، وانطلقت داخلى صاعقة قوية ، تصاعدت منها قشعريرة إنتشرت فى جسدى من أسفل لأعلى كإنتشار النار فى الهشيم !!!..
إلتفت مرةً أخرى للمرآه ، محدقاً فيها وعيناى على وشك القفز خارج محجريهما ..
وبسرعة وضعت يدى على جانب صدرى ثانيةً ، وكأنى لا أصدق ما تراه عيناى ..
أين ذهب الوسام ؟!..
أين ذهب ذلك الوسام الكبير ، الذى كان معلقاً على صدر الزى العسكرى الرسمى ؟!..
يا إلهى !!.. أين ذهب ؟!!!..
غصة إحتلت حلقى بعدما تأكدت من عدم وجوده ، وظللت أدور حول نفسى ، أبحث عنه فى كل مكان ، على أمل أن أجده..
بل لابد أن أجده..
فهذا الوسام ليس مجرد وسام أو نيشان معلقاً على صدر الزى الرسمى للزهو أو التباهى..
لا.. أبداً .. إنه رمز ..
هذا الوسام هو رمز لكل ما أؤمن به ، ولكل ما أحاول تحقيقه وأنا أرتدى الزى العسكرى..
انه رمز الصمود ..القوة .. الكرامة .. التحدى .. والسلام ..
إنه الرمز الجامع لكل المعانى النبيلة ، وهو الذى يذكرنى بكل وجباتى ، ويرشدنى إلى معرفة إلتزاماتى كلها ..

هـو الـذى يجعلنـى حريصـاً عـلى إعطـاء الـزى العسـكرى الرسـمى حقوقـه ، ويذكـرنى دائمـاً بمراعـاة كرامتـه وعزتـه ..
فهـذا الوسـام هـو الأكـبر بـين الأوسـمة ، وهـو الـذى يعطـى للـزى العسـكرى جمالـه وهيبتـه وعظمتـه ..
وقيمته من قيمة مانحه ..
الملـك نفسـه هـو مـن وضعـه بيـده الكريمـة عـلى صـدر ردائى العسـكرى..
ملك الملوك وليس غيره..
وقـد أتـانى ذلـك الوسـام فى وقـت ، أنـا فى أمـس الحاجـة إليـه ، وقـد كنـت مجهـداً عقليـاً وجسـدياً وروحيـاً ..
لكـن وفـور أن وضعـه الملـك عـلى صـدرى ، بعـث فى عقـلى الحكمـة ، وفى جسـدى القـوة ، وفى روحـى الحيـاة ..
ولذلك فهو مميز بين كل الأوسمة التى حصلت عليها ..
عـشرات الأوسـمة عـلى صـدر الـزى العسـكرى ، هـو أبرزهـا وأقواهـا وأكبرهـا ..
وها هو قد سقط!! .. فأين سقط الوسام ؟!!..
أين ضاع الرمز ؟!!..
وبينما أبحث عنه بقلب مختلج ..
وجدته.. بالفعل وجدته ..
نظرتـه عينـاى فى ذلـك الركـن البعيـد .. فأسرعـت الخطـا وإقتربـت منـه بفـرح ..
إنحنيت لألتقطه بكامل الإحترام والحب ..
لكن ما أن دنوت وأمسكت به حتى تجمدت أصابعى وإرتعشت..

لقد صُدمت بحق.. صُدمت لأنه لم يعد كما كان ..
لقد إعتراه الصدأ والتآكل !!..
لم يعد ذلك الوسام القوى الصلب اللامع !!..
وعندما قلبته بين أصابعى ، أيقنت الحقيقة المرعبة..
لقد أصبح فى صورة ، لن تسمح له بأن يُوضع على صدر الزى العسكرى الرسمى بعد الآن .. ولا سبيل لإعادته كما كان..
في دُنيانا من يرحل لا يعود ..
لقد خضع لذلك الجبار الذى يخضع له كل الجبابرة ..
الزمن..
لكن ما الذى وصل بهذا الوسام إلى هذه الحالة ؟!..
ربما هى الظروف التى طرأت عليه ؟..
أو كثرة الأزمنة الصعبة والتقلبات الحاده التى عاشها معى ؟..
أو إستنادى الدائم عليه ..
أو هى هموم الزى العسكرى الرسمى الثقيلة ، التى لم تسمح لى بمراعاته ، والتى جعلتنى أظن أنه خالداً ، وأنه لن يسقط أبداً ؟..!
دمعت عيناى وقلبى يتسائل ..
لماذا يحدث هذا الآن ؟..!
لماذا حدث هذا ، وأنا فى أمس الحاجة إلى الرمز الذى يذكرنى بواجبات الزى العسكرى الرسمى ومبادئه وقيمه ؟..!
لماذا يحدث هذا لأهم رمز فى حياتى ، فى هذا الوقت العصيب المرير الذى تمر به البلاد ؟!..
لكن فى كل الأحوال هذا ما حدث..
هذه سنة الحياة ..

تآكل الوسام .. وذهب الرمز ..
لكن هل سأذهب أنا أيضا ؟..
هـل سـأتهاون فى كرامـة وقيمـة وأهميـة الـزى العسـكرى الرسـمى ، فى هـذا الوقـت الصعـب ؟..
هل سأنسى ما كان يذكرنى به الوسام لمجرد ذهابه ؟..!
فنظرت لنفسى فى المرآه ..
فانحنى ظهرى.. تخاذلت وقفتى العسكرية..
ولأول مرة .. بكيت ..
لكـن عندمـا تسـاقطت بعـض العَبرات مـن عينى عـلى الزى العسـكرى، وبالتحديـد فى نفـس مـكان الوسـام ، إنتبهـت إلى شيء أخر..!!
لقـد ظـل الوسـام معلقـاً عـلى صـدر الـزى الرسـمى لفـترة طويلـة مـن الزمـن ، ولذلـك عندمـا سـقط تـرك أثـر فى الـزى العسـكرى..!!
بل وأثراً واضحاً !!..
لقـد كان الوسـام مثبتـاً عـلى صـدر الـزى العسـكرى بمشـبك كبـير قـوى حـاد .. لذلـك عندمـا سـقط لم يسـقط كلـه ، فقـد تـرك المشـبك مغـروس فى صـدر الـزى الرسـمى ..
مشبك مغروس بعمق ، وواضح لأضعف العيون ابصاراً !!..
فتحسسته بأصابعى ووجدته مثبت بقوة لا أتخيلها !!..
قوة حقيقية !!..
وهنا .. إتخذت قرارى ..
فمسـحت تلـك الدمـوع .. فـردت ظهـرى .. وإسـتعدت وقفتـى العسـكرية..
وحملت الوسام الراحل بكلتا كفتىّ ، ووضعته فى صندوقاً حريرياً

فاخـراً بإحـترامٍ شـديد ، وبـتردد قـاسى وبقلـب يعتـصره الألم ، أغلقـت الصنـدوق بعـد إلقـاء النظـره الأخـيرة عليـه ..
ثـم تراجعـت خطـوة للخلـف ، وأديـت لـه التحيـة العسـكرية بقـوة وحـزم..
لكـن الدمـوع ظهـرت مـرةً أخـرى فى عينـىّ ، عندمـا تهـدج صـوتى ، وإرتعشـت شـفتى وأنـا أهمـس .. «لـن أنسـاك» ..
ووضعـت كفـى الأيمـن عـلى الجانـب الأيـسر مـن صـدرى ، حيـث الأثـر الـذى تركـه الوسـام ، ورحـت أتلـو قسـماً جديـداً ..
قسماً إقتضاه ذلك الخطب الجلل ..
«أقسـم باللـه العظيـم .. الواحـد الـذى لا شريـك لـه .. وبمكانتـك عنـدى .. أن يبقـى مـا تركتـه مـن أثـر .. والـذى تجـاوز الـزى العسـكرى لينحفـر فى قلبـى .. سـيبقى أثـرك يـا أسـمى الرمـوز مهـما طـال الأمـد .. وإلى أن يتسـلم الملـك الـزى العسـكرى المقـدس .. سـيبقى حتـى ولـو إعـترض الـكل .. سـيبقى حتـى ولـو تغـيرت أنـا .. سـيبقى حتـى لـو جـاء بعـدك وسـاماً آخـر .. وحتـى لـو كنـت أخـر الأوسـمه .. واللـه عـلى مـا أقـول شـهيد».

***

كروتوبتكا

لا تخلط جيناتك بجينات سيئة قد تقتُلك !!

obeikan.com

obeikan.com

لا وجود للشر فى (كروتوبتكا) ..
الطغيـان وإنعـدام الأخـلاق يُعتـبرا مـن دروب الخيـال هنـاك .. القهـر والإسـتبداد كلـمات لا وجـود لهـا فى قواميـس اللغـة .. القاعـدة هـى الخـير ولا يوجـد إسـتثناءات نهائيـاً ..
لا خيانة .. لا غدر .. لا تزوير .. ولا دماء ..
وبالتـالى لا يوجـد خـوف ، إلا مـا يمكـن أن يشـعرون بـه عنـد حـدوث احتـمالات لثـورات للطبيعـة ، التـى لا تلبـث أن تعـود لهدوءهـا وكأنهـا تنـدم لأنهـا كانـت ستفسـد جـمال (كروتوبتـكا) ..
قـوم مسـالمون للغايـة ، لا يعرفـون سـبيلاً للظلـم أبـداً ، متقدمـون علمياً لدرجـة متوسـطة ، ولا يهتمـون بـأى علـم لا يعـود بالنفـع عـلى سـكان (كروتوبتـكا) ..
طبيعـة خلابـة بـكل مـا تحملـه الكلمـة مـن معـانى ، فالزراعـة تغطـى مسـاحات هائلـة مـن مسـاحة تلـك القـارة الوحيـدة التـى يقطنهـا السـكان ، وذلـك المـاء الذهبـى يسـقط فى شـلالات غزيـرة تصنـع مـع الـزروع الصفـراء المحمـرة ، والصخـور ذات اللـون البنـى ، لوحـة فنيـة تريـح العـين والنفـس معـاً ..
فى الأيـام القليلـة التـى يتعكـر فيهـا صفـو السـماء ، تتصـارع تلـك الغيـوم الذهبيـة لأخـذ مكانهـا ، فتعبرهـا آشـعة نجمهـم العمـلاق ، صانعـة ضـوءً عجيبـاً مـن الصعـب جـداً أن تتخيلـه لـو لم تحيـا فيـه ، وتـراه رأى العـين ..
التعامـل راقـى .. الصـوت خافـت .. العيـون دافئـة .. والتعـاون والمسـاعدة هـما السـمة السـائدة عـلى طبيعـة كل السـكان ، الذيـن

يحيـون فى تناغُـم عجيـب وكل منهـم يُكمِـل الآخـر ويسـانده ..
حتـى الحكـم هنـاك حكـم غـير تقليـدى ، حيـث قائدهـم أكبرهـم سـناً ، لا يلـزم أحـداً بمـا هـو فـوق طاقتـه ، يعيـش بينهـم كأب يرعـى أبنـاءه ، الذيـن يحيـون فى كنـف أبيهـم فى طاعـة وحـب ، يجعلـه يعطيهـم ظهـره وهـو مطمئمـن ..
لا يعرفـون الجريمـة أو العقوبـة أو السـجن ، فكلهـا أمـور لم تحـدث بينهـم ، أو تشـوه يومـاً تلـك الطبيعـة البسـيطة التـى يحيـون بهـا ، فى عـالم أقـرب إلى جنـة روحيـة منـه إلى عـالم مـادى ..
حتـى الصـوت العـالى الصاخـب يعتـبر مـن الأمـور الغـير مألوفـة فى (كروتوبتـكا) ، ولذلـك فـإن وقـع تلـك الأقـدام التـى تركـض بخطـوات متوتـرة عـبر ذلـك الممـر اللامـع ، بـدت متناقضـة جـداً مـع طبيعـة المـكان ، إلا أن صاحبهـا واصـل خطواتـه، حتـى وصـل إلى بـاب ، لم يكـد يقـترب منـه ، حتـى انفتـح فى وجهـه ، فدخـل عـلى الفـور ، لـيرى ذلـك الجالـس أمامـه مغمـض العينـين ، وكأنـه يسـبح بخيالـه فى ذكريـات بعيـدة ..
«أبى»
قالهـا بصـوت متوتـر ، ففتـح الجالـس عينيـه بهـدوء ، واعتـدل فى جلسـته ،وهـو يقـول :
ــ خطواتك الثقيلة مميزة بين شعب (كروتوبتكا) يا (إجور) ..
لم يتلقـى رداً مـن (إجـور) سـوى ذلـك التوتـر الـذى يمـلأ عينيـه ، فنظـر لـه نظـرة متسـائله ، دون أن يفتـح فمـه ، فأكمـل (إجـور) :
ــ خبر غير سار يا أبى ..
هنا نهض والده ، وتقدم خطوتين منه ، ثم تسائل بصوت هادئ :
ــ ماذا هناك يا (إجور) ؟..

فأجاب بسرعة :

ـ المتوحشون ..

إتسعت عينا الأب ، وقد شعر بالخوف ، الذى لم يشعر به سوى مرات معدودة طوال حياته ، وغمغم بصوت مُختنق :

ـ لا تقل لى أنهم هنا ..

فأجاب (إجور) وهو يشير بإصبعه لأعلى :

ـ بل هم على وشك الهبوط ..

تقدم القائد وأمسك ذراع إبنه ، وراح يقطع ذلك الممر بخطوات واسعة برغم بطئها ، حتى وصل إلى تلك الغرفة ، التى انفتحت أمامه ، وسأل أحد الموجودين فيها :

ـ كم بقى على وصول المتوحشون ؟..

إتسعت عيون كافة من كانوا بالغرفة ، ونهض أربعة منهم ليراجعوا أجهزتهم، وبعد ثوانى قال أحدهم بدهشة :

ـ لم ترصد الأجهزة قدومهم حتى الآن !!..

إستدار القائد نحو إبنه ، وبدا إنه سيقول شيئاً ما ، إلا إنه وقبل أن ينطق به ، هتف أحد الموجودين فى الغرفة ، بتوتر لا محدود :

ـ ظهروا يا سيدى القائد ..

وتنفس آخر بصعوبة ، وهو يقول :

ـ لقد ظهروا على الراصد بالفعل ..

وإتجهت العيون كلها إلى القائد ، الذى وقف منتصباً ثابتاً ، وهو يعلم أن الكل ينتظر منه المشورة ، لعمل ما يلزم لمواجهة تلك الكارثة ، لذا فقد قال :

ـ كم بقى على هبوطهم ، وأين تقع نقطة الهبوط ؟..

عادوا للعمل على أجهزتهم ، ولم تمضى دقيقة حتى أجاب أحدهم،

obeikan.com

بصـوت خائـف :
ـ لم يعد هناك الكثير على الهبوط ..
ثم أشار إلى أحد الشاشات ، وقال :
ـ وهنا سيهبطون ..
تطلع القائد وإبنه إلى نقطة الهبوط ، ثم قال (إجور) :
ـ ليـس أمامنـا سـوى وسـيلة الدفـاع الوحيـدة لدينـا المُعـده لهـذا اليـوم ..
ففكـر القائـد لبعـض الوقـت ، ثـم وضـع يـده عـلى كتـف إبنـه وقـال بحـزم :
ـ تولاها أنت ..
فإتسعت عينا (إجور) وإبتسم هاتفاً :
ـ سأكون عند حسن ظنك يا أبي ..
قالهـا وإنطلـق بسرعـة ، بينـما ظـل القائـد واقفـا لدقيقـة ، ثـم تطلـع لوجوههـم جميعـاً وهـم بالانـصراف ، إلا أن أحـد الموجوديـن بالغرفـة إسـتوقفة قائـلاً بخـوف:
ـ هل هى النهاية أيها القائد ؟..
حـاول القائـد أن يبـدو متماسـكاً أمـام رجالـه ، وهـو يشـد قامتـه ويجيـب :
ـ وسيلة الدفاع كافية لردعهم وأنتم تعلمون هذا ..
واستدار لينصرف ، فاستوقفه أحدهم :
ـ إلى أين أنت ذاهب أيها القائد ؟..
فأجاب :
ـ إلى نقطة الهبوط ..
فاتسعت عيونهم بإستنكار شديد ، وقال كبيرهم :

obeikan.com

ـ لكنك تعلم يا سيدى مدى قسوتهم وهمجيتهم ..
فأجاب بسرعة ودون تردد :
ـ وأعلم أيضاً أنى القائد هنا ، وإن كان هناك أحد ينبغى أن يكون فى المقدمة لحظة المواجهة ، فهو أنا ..
فاندفع أحدهم يقول :
ـ يجب أن تبقى بعيداً لأن القرار بيدك ولأنك رمزنا ..
فأجاب القائد بصدق :
ـ أنتم الذين يجب إبقائهم بعيداً .. فأنتم العلماء .. أنتم وصغار السن أمل (كروتوبتكا) ومستقبلها ، أما أنا والكبار فعلينا المواجهة..
قالها وغادر الغرفة بعدما أمرهم بجمع القيادات عند نقطة الهبوط ، متجهاً هو إلى هناك وعقله يلهث بكلمة واحدة ..
المتوحشون ..
ذلك الخطر الذى يجول مخرباً ..
قوم غرباء كان لهم كوكب ليس ببعيد عن (كروتوبتكا) ، وكانوا يطلقون على أنفسهم إسم (الجنس البشرى) ، وقد وصلوا إلى مرحلة متقدمة من التطور العلمى ، إلا أنهم إستغلوا تطورهم فى أغراض حربية إستعمارية ، لذلك لم يكن تطورهم فى صالحهم أبداً ..
كل الكواكب المأهولة تعرف قصة ذلك الكوكب الأزرق ، الذى كان ذو طبيعة رائعة تابعاً لنجم متوسط الحجم يغمره بالضوء والحرارة ، إلا أن ذلك الجنس الذى كان يقطنه كانت له أهداف وغرائز شريرة ، لم يشهدها الكون من قبل ..
كان الجنس البشرى قد وصل إلى مرحلة رهيبة فى صناعة الأسلحة وتطويرها ، وقد تركوا إحتياجاتهم الأساسية وتفننوا فى الأسلحة

وأغراضها التدميرية ، ولكثرة الصراعات على سطح ذلك الكوكب ، قامت حرب كبرى ، أطلقوا عليها ساعتها (الحرب العالمية الثالثة).. أما فى بقية الكواكب المأهوله فهى معروفة بإسم (الخروج عن المدار) ، لأنها كانت حرب شاملة ، إستخدموا فيها نوع ساحق من الطاقة لا تحتمله الكثير من الكائنات فى الكون ، مما أدى إلى تدمير مساحات شاسعة من كوكبهم ، وتحريكه قليلاً عن مداره ، ما أدى إلى تغيُرات مناخية قاسية ، لم يحتملها الكثير منهم ..

وبجينات الأنانية المتغلغلة فيهم ، بدأ القادرين منهم والقادة والكبار محاولات النجاة بأنفسهم واللجوء للكواكب القريبة منهم، والتى إستطاعوا أن يكتشفوا الحياة على سطحها ، تاركين الشعوب تحترق خلفهم ، بالإشعاع والأمراض التى إنتشرت بلا حدود ، وقد لجأ البعض منهم إلى (كروتوبتكا) وقتها ، وعاشوا فيها محاولين إشاعة الضغائن والصراعات ، إلا أن أعمارهم كانت صغيرة جداً فاندثروا سريعاً جداً ..

وليت الناجين على الكوكب الأزرق إكتفوا بهذا بل راحوا يكونون جماعات وقبائل ويطورون نوعا أخر من المتفجرات ، التى جاء تأثيرها يفوق كل ماقبلها من أسلحة على سطح ذلك الكوكب المظلم ..

وقامت الحرب الرابعة ، مستخدمين فيها السلاح الجديد ، والذى أفنى الحياة تماماً ، أو هكذا ظن الجميع حتى المراقبين الكونيين .. إلا أن ذلك السلاح الذى إستخدموه لم يفنيهم ، وإنما أحدث خللاً فى تركيبهم الجينى ، محولاً إياهم إلى مسوخ مشوهه ، ذات طبيعة وحشية أكثر من وحشيتهم الغريزية ، بل والكارثة الأكبر أن تلك الطفرة كما غيرت فى الشكل والتركيب الجينى والهرمونى ، غيرت

أيضا فى التركيب العقلى لهم ..
لقد أصبحوا أكثر ذكائاً بكثير وتضائلت أيضاً قدرتهم على التكاثر، مع وحشيتهم الغير محدودة ، مما جعلهم يعملون على تصفية بعضهم البعض ، وتطوير مركبات قادرة على إجتياز تلك الأنفاق الكونية ، التى تختصر المسافات الشاسعة بين النجوم ، ليبدأ الكون فى معرفة المتوحشون ..
وفور إكتشاف المتوحشون أى كوكب صالح للحياة ، يتجهون إليه ويبيدون سكانه بالكامل إن كانت قدرتهم التسليحية ضعيفة ، ويستولون على كل موارد ومصادر الطاقة التى يحتاجون إليها للبقاء على قيد الحياة ، فى كوكبهم الذى أصبح مجرد حطام خربة مُظلمة ، أو أثناء التجول فى الفضاء ، والبحث عن ضحايا جُدد .. أما إن كان الكوكب أقوى منهم ، ولأن الجينات التخريبية متأصلة فى تركيبهم، فهم يحدثون به أقصى خسائر ممكنة ، وكأنهم يعلنون أن المكان الذى لن يحتلوه ، لن يتمتع به سكانه ..
وقد حذرت جميع الكواكب المأهولة ، من قدوم تلك الكائنات المتوحشة البالغة الذكاء والقسوة ، لأن قدومهم هو نذير خراب ودمار وربما فناء أيضاً لمن لا يمتلك وسيلة لردع أسلحتهم المدمرة، التى طوروها بعقول شريرة جائتها طفرة جينية لتجعل شرها مضاعف ..
وها قد جاء الدور على (كروتوبتكا) ..
أفاق من أفكاره عندما وصل إلى نقطة الهبوط ، وقد سبقه إليها القادة والحكماء ، فنظر هو ناقلاً عينيه بين وجوههم ، دون أن يتكلم بكلمة واحدة، وقد كان توتره أضعاف توترهم مجتمعين بحكم منصبه ومسؤليته ..

أعطاهم ظهره وتطلع إلى الرمال الحمراء التى إمتدت على مرمى البصر وتلاقت بالسماء الملبدة بالغيوم الذهبية ، والتى وفجأة إنطلق عبرها ذلك الطنين المزعج ، وشرارات قوية فى المجال الجوى، أعقبها ظهور ثلاثة مركبات ضخمة ، بأجنحة طويلة على الجانبين ولها مقدمة شفافة يتألق فيها سائل وردى له ضوء آخاذ ..

إقتربت الثلاث مركبات ببطئ من الرمال ، وهبطت الأولى بحذر وما أن إستقرت على الرمال بعاصفة حمراء عنيفة ، حتى هبطت خلفها المركبة الثانية والثالثة فى نفس اللحظة ، وبضعة ثوانى وتوقف السائل الوردى عن التألق ، وإنفتحت المركبات الثلاثة فى وقت واحد ، كل واحدة من بابها العلوى ..

وأخذ المتوحشون يخرجون طائرين عمودياً واحداً تلو الأخر ببطأ، ثم يهبطون على أقدامهم أمام المركبات ، وفى مواجهة قادة (كروتوبتكا) ..

كان عددهم محدوداً لم يتعدى الواحد وعشرون متوحشاً ، رغم ضخامة حجم المركبات ، وتقدموا جميعاً بخطوات واثقة نحو القائد ومن معه ، ثم تقدم أحدهم الذى كان يبدوا أنه قائدهم، والذى كان يرتدى - كبقية رفاقه – زياً معدنيا يغلف جسده الضخم مع تلك الخوذة القاتمة على رأسه ، وهاله من الضوء الأزرق محيطة به وهو ممسكاً بذلك المدفع الضخم فى يده ، وقد إنطلقت من فوهته الزجاجية شرارات زرقاء بين الحين والأخر ، وكأنه وحش متعطش لسفك دماء ضحاياه ..

تلفت قائد المتوحشون حوله ، ثم نظر للسماء لحظات ، فأصدرت خوذته أزيز مسموع ، وإرتفعت لتكشف عن وجهه ، الذى ما أن رآه قادة (كروتوبتكا) حتى تراجع معظمهم خطوةً للوراء لا إرادياً،

وقد بدت ملامح قائد المتوحشون أكثر بشاعة بكثير مما سمعوا طوال تاريخهم ..

عيناه الواسعتين المحمرتين ذو البؤبؤ الضخم وأنفه الواسع ، وبشرته الزرقاء الداكنة المليئة بالبثور ، تجمعت لتصنع وجهاً حفرت فيه الأشعة الذرية طريقها ، والأسلحة الكيماوية طالت أدق قسماته .. «أُكسجين»

قالها قائد المتوحشين بإستمتاع يتناقض مع صوته الأجش الغليظ ، وبلغة غير مفهومة لشعب (كروتوبتكا) ، لكن ذلك لم يدم طويلاً ، لأن قائد المتوحشين نظر لهم وقال :

ـ غلافكم الجوى مازال بعافيته !!..

قالها بلغة جعلت قادة (كروتوبتكا) يشعرون بدهشة حقيقية ، فى حين إرتفعت خوذات بقية المتوحشن واحداً تلو الآخر ، وهم يستنشقون ذلك الأكسجين النقى الذى لم تجربه صدورهم ، منذ أن ولدوا بعد الحرب التى ألقت بتلك السحابة الذرية العملاقة فى جو كوكبهم ، وغيرت نسب الغازات بل وتركيبها فى غلافهم الجوى ..

أما قائد (كروتوبتكا) فقد قال مندهشاً :

ـ كيف تتحدث لغتنا ؟!..

إبتسم قائد المتوحشين إبتسامه بشعة ، وقال :

ـ لسنا على علم بلغتكم فقط ، بل بكل شيء عنكم ..

ثم تلفت حوله وهو يشير للطبيعة الخلابة حوله ، وأكمل :

ـ وعن كوكبكم الرائع هذا ..

ثم وجه سبابته نحوه وراح يحركها دائرياً ، وهو يتابع :

ـ بل وعنك أنت أيضاً يا (يورون) ..

opeikan.com

قالها بلهجة جشعة ، جعلت القائد (يورون) يشعر بخوف حقيقى، ترجمه فى سؤال واحد قفز على فمه :

ـ وماذا تريدون منا ؟..

نظر قائد المتوحشون لجنوده خلفه وهو يضحك بصوت عالى ، قائلاً :

ـ لا تقلق لهذا الأمر فما نريده سنفعله بعد قليل ، لكن دعنى أطمئن عليكم الآن ، هل أطلقتم وسيلة الدفاع التى ستقضى علينا؟..

قالها وراح يضحك بوحشية حقيقية ، أصابت (يورون) بالتوتر هو ومن معه من قادة وكبار ، وكان كل مايشغل باله فى تلك اللحظة هو تلك الوسيلة التى يعلم بها المتوحشون كل هذه الأمور ..

هم بقول شيءٍ ما إلا أن (إجور) جاء فى هذه اللحظة ووقف بجانب والده، فإلتفت إليه وسأله :

ـ هل كل شيء جاهز ؟..

فأومئ (إجور) برأسه فقال (يورون) بحزم :

ـ إفعلها الآن ..

قالها ونظر للمتوحشين بتحدى ، والتقت عيناه مع عينا قائدهم المخيفتين، ومضت لحظات من الصمت ، أعقبتها ضحكة عاليه شامته من قائد المتوحشين ، الذى قال وسط ضحكاته :

ـ كم أنت رائع يا عزيزى (إجور) ..

تقدم قائد المتوحشين خطوة إلى الأمام ، وتقدم أيضاً (إجور) نحوه، فربت على كتفه وقال :

ـ خدمة رائعة تلك التى قدمتها لنا يا (إجور) ..

obeikan.com

سرت غمغمات حائرة بين قادة (كروتوبتكا) ، بينما بقى (يورون) صامتاً غير قادر على النطق ، فى حين أكمل قائد المتوحشين :
ــ لا ينتظر أحدكم أن تعمل وسيلة الدفاع تلك وتنقذكم من أيدينا ، لأن عزيزنا (إجور) قد عطلها للأبد فور قدومنا ، وفور أن أمره والده العظيم بالتحكم فيها ..
قالها وانطلق يضحك بقوة وتشفى ، ومعه بقية المتوحشين ، فى حين علت الغمغمات الغاضبة المندهشة من هذا الفعل الغريب ، والغير معتاد أو متوقع بين سكان (كروتوبتكا) ، بينما ظل (يورون) صامتاً جامداً ، وداخله بركان غاضب ، وهو يتذكر عندما أخبره (إجور) بقدوم المتوحشين قبل حتى أن ترصدهم أجهزة الرصد ، وعندما اقترح استخدام وسيلة الدفاع بنفسه ، وهو يعلم أن رد الفعل الطبيعى منه ، هو الأمر بتوليه إياها ..
قطع أفكاره صوت المتوحش حين قال بشراسة :
ــ ألا تود تهنئتنا يا (يورون) على هذا الإنتصار العظيم ؟..
تجاهله (يورون) تماماً ونظر لإبنه ، وقال :
ــ هل خُنتنا يا (إجور) ؟!..
نظر (إجور) إلى والده وقال بقسوة :
ــ بل قل انتصرت يا أبى .. انتصرت على حياتكم المملة السخيفة.. على هدوئكم وسلميتكم التى لم ابتلعها يوماً .. لا حكم حقيقى .. ولا حاكم حقيقى .. كيف تحيون بدون سلطة أو تسلط .. حياة أقل مايقال عنها أنها مميتة .. حياة تقتل أى طموح ..
ظل كبار وقادة (كروتوبتكا) ينظرون لبعضهم فى دهشة ، وهم يسمعون تلك الكلمات والرغبات التى لم يذكرها أحد طوال

تاريخهم ، وينظرون لملامح (إجور) وهو يتكلم ، وقد بدا شديد القسوة بشكل عجيب ، لم يوجد فى جنسهم أبداً وهو يتابع :

ــ شيء يفوق قدرتى على التحمل جعلنى أفعل هذا .. شيء ينادينى بأن هذه الحياة المملة ليست حياتى ، وأن هذا الهدوء القاتل لا يناسبنى ، شيء يدفعنى للتغيير بشكل حتمى كى أكون فى المكانة التى أستحقها ..

أما (يورون) فقد قال بأسى حقيقى :

ــ العجيب أنى لم أصدم ابداً من خيانتك ، لأن الخطأ كان خطأى من البداية ..

نظر إليه (إجور) بلا إكتراث ، فى حين تابع أباه :

ــ الجينات الغريبة بداخلك أفسدت طبيعتك ..

إنتبه (إجور) فى هذه اللحظة ، والقادة أيضاً صمتوا جميعاً ، حتى قائد المتوحشين وجنوده أيضاً ظلوا ناظرين إلى (يورون) مع تلك الكلمات الغير مفهومة ، إلا أنه أكمل :

ــ كانت والدتك إحدى اللاجئات من كوكب قضت الحروب عليه ، وجائت الى هنا على متن مركبة تحمل أثرياء الكوكب المنهار ، وللتقارب شبه المتكامل بين البناء الجسدى والبيولوجى لأجسادهم وأجسادنا ، والذى يقارب التطابق ، فقد أحببتها وأحبتنى وتناسلنا، وكانت النتيجة أنت ..

وإلتقط نفساً عميقاً وقال :

ــ والدتك بشرية ..

إتسعت عيون الجميع حتى المتوحشين ، أما (إجور) فقد جمدت المفاجآة ملامحه ، فى حين أكمل (يورون) :

ــ ولقد حذرتنى قبيل رحيلها ، وقالت لى أن جيناتها الموجودة فيك

openkan.com

ستقتلنى يوماً ما .. وقد كانت على حق .. فها هى جيناتها البشرية عملت فيك بقوة وخنت قومك بمنتهى الخسة ..

صمت هو فتكلم الإبن وهو يحاول عبور الموقف :

ــ حتى لو كان كلامك صحيح يا أبى ، فهذا لن يصنع فارقاً ، لأنى لا أقدر على الإستمرار فى هذه الحياة الرتيبة المملة التى نحياها هنا ، ولكنى لست خائنا كما تقول ..

ثم أشار بإصبعه لقائد المتوحشين خلفه ، وهتف بإنفعال :

ــ لقد فعلت لهم هذا لأنهم يملكون الإمكانيات لإعطائى منصب هنا ، وقد إشترطت عليهم التراجع عن إفنائكم ، والإكتفاء فقط بتولى قيادة الأمور ، وأن نكون أنا وأنت فى الـــــ.....

قطعت كلامه ضحكة إنطلقت من قائد المتوحشين ، أعقبها قوله :

ــ حكوا لنا فى الوثائق القديمة أن أسلافنا كانوا يصنعون هذا النوع البذيئ من الدراما العاطفية ..

قالها وأكمل ضحكته ، فإستدار له (إجور) بإستنكار ، وهتف :

ــ لماذا تضحك هكذا ، ألم يكن هذا إتفاقنا ؟..

فظهر الغضب على وجه القائد مما جعله أكثر بشاعة ، ورفع سلاحه الضخم الذى يحملة ، فتزايدت الشرارات التى تتوهج على فوهته الزجاجية، وهو يقول :

ــ لا أحب أنصاف البشر ..

فانتفض (إجور) وهتف :

ــ لا .. أبى كاذب .. صدقنى هو كاذب ..

توترت ملامح (يورون) ، وقال بحزن :

ــ وهل تتوقع أن يفى هذا البشرى بوعده معك ؟..

جملته جعلت (إجور) يشعر برعب حقيقى ، إلا أنه شعر بالأمل عندما تظاهر قائدالمتوحشين بالإهتمام ، وهو يقول :

ـ مادام كاذباً فأنت لست بشرى إطلاقاً ..

ثم راح يضحك بصورة مفاجئة ، وقد تكونت كرة زرقاء تتطاير منها الشرارات ، أمام فوهة مدفعه ، وقال بقسوة :

ـ وأنا أكره غير البشريين ..

بكى (يورون) وسالت دموعه الحمراء القانية من عينيه ، وقال بصوت مرتعش :

ـ أنا الذى أخطأت حين سمحت لجينات بشرية أعلم طباعها جيداً بتلويث جينات قومى .. أنا السبب ..

فاتسعت عينا (إجور) برعب وراح ينقل عينيه بين والده وبين قائد المتوحشين ، وهو يهتف متوسلاً مشيراً لقومه :

ـ لا .. أرجوك لا تقتلنى .. إقتلوهم كلهم .. إفنوا جنسهم للأبد ، لكنى معكم ومكنتكم منهم .. أرجوك لا تقتلنى .. أنت بهذا تخون الإتفاق ..

فابتسم القائد وهو يقول ساخراً :

ـ تعجبنى كثيراً حين تتكلم عن الخيانة ..

قالها فإنطلق فيض من الأشعة الزرقاء من مدفعه وأصاب صدر (إجور)، فإنتفض بشدة رهيبة ، وسقط أرضاً وقد تصاعدت من فمه نيران زرقاء مخيفة ..

فتألقت عينا قائد المتوحشين ، ونظر إلى (يورون) ومن معه بنظرة سخرية وتشفى ، وهو يقول :

ـ في كوكبنا كانوا يسألون المُقدمين على الإعدام عن آخر أمانيهم ..

obeikan.com

صمت لحظة وتابع بسخرية :

ـ لكنه أمر قديم ولا أحبذه ..

ثم إلتفت خلفه لجنوده وهتف بصوت هادر :

ـ هيا ..

وبدأت إبادة شعب (كروتوبتكا) .

***

obeikan.com

obeikan.com

إنقســـام

ماضيك هو أكبر عدو لمستقبلك !!

obeikan.com

obeikan.com

كان الجـو لطيفـاً ، فى تلـك الليلـة الخريفيـة ، التـى جعلتنـى أشـعر أنى قـد أصبـت فى إختيارهـا ، للتنـزه والسـير ، عـلى كورنيـش النيـل بعـد مـدة طويلـة مـن العمـل المتواصـل ، والحرمـان مـن الأجـازات ..
ومـع متعـة السـير شـعرت أيضـاً أنى قـد أصبـت فى قـرار الإسـتغناء عـن السـيارة فى هـذه النزهـة ، حتـى يمكننـا التمتـع بالمشـهد الليـلى لميـاه النيـل ، وتلـك النسـمات الرقيقـة الناعمـة ، التـى يهمـس بهـا الهـواء الرطـب بـين الحـين والأخـر ، مـما يجعـل القلـب يشـعر بالإرتيـاح وكأن هـذه النسـمات تعـبر الصـدر وتداعبـه مبـاشرةً ..
«كانت فكرة حلوه»
همسـت (نـورا) زوجتـى ، بهـذه الجملـة ، وهـى تتأبـط زراعـى بقـوة كعادتهـا ، فنظـرت إليهـا ، وسـألتها :
ــ فسحة النهارده ؟..
فابتسمت ابتسامتها التى أعشقها ، وهى تهز رأسها نفياً ، وتقول :
ــ لأ .. فكرة المشى من غير عربية ع النيل ..
فابتسمت أنا ، وقلت :
ــ منـا شـايف كـده برضـو ، المـشى محسسـنى إنى بتفسـح فعـلاً ، لكـن العربيـة والسـواقة .. يـا سـاتر يـارب .. حتـى لـو كنـا بنتفسـح بيهـا ، بحـس إنى متوتـر ومتأخـر ، وخـلاص هاخبـط ف عربيـة تانيـة حتـى لـو كنـت واقـف ..
فانتفضت هى بشدة ، وتوقفت عن السير فجأة ، وهى تهتف :
ــ أعوذ بالله .. فال الله ولا فالك .. أوعى تقول كده تانى ..

فجذبتها للسير مرة أخرى ، وأنا أتأمل وجهها الصافى الطفولى ، والمحاط بذلك الحجاب ذو اللونين الأبيض والوردى ، مما جعلها لوحه فنيه تسبح خالقها ، وأنا أهمس مبتسماً :

ـ بتخافى عليا للدرجة دى ؟!..

فنظرت فى عينىّ ، وهزت كتفيها بدلال ، وقالت :

ـ هاتلى إسم واحد فى الدنيا دى ممكن أخاف عليه أكتر منك ..

فوجدت نفسى - وبمنتهى اللهفة والحب - أقترب بشفتاى من وجنتها ، ألا أنها أبعدت وجهها بسرعة ، وتلفتت حولها بخجل ، ثم قالت ضاحكة وهى تخبئ فمها بيدها :

ـ يا مجنون إحنا فى الشارع ..

خفق قلبى بسرعة ، أمام رقتها وخجلها ، وقلت لها ببطء :

ـ فى الشارع .. فى البيت .. على القمر.. إنتى مراتى فى كل مكان ..

ورغم مرور ما يزيد على أربعة سنوات على زواجنا ، ألا أنها ما زالت تتزين بذلك الحياء الآنثوى الرقيق ، المُحبب إلى النفس ، والذى جعل حُمرة الخجل تعلو وجنتيها الناعمتين ، وهى تقول بخفوت :

ـ عارف المشى ع النيل بالطريقة دى مفكرنى بإيه ؟..

فنظرت إليها متسائلاً ، فضغطت على ذراعى برفق ، وقالت بإبتسامة رائعة :

ـ بيفكرنى بأيام خطوبتنا .. فاكرها ؟؟..

فخفق قلبى مرة أخرى ، وتناولت بيدى اليسرى كفها المتعلق بيمينى ، وقبلته بكل ما أحمل لها فى قلبى ، ثم قلت :

ـ أنسى إزاى طيب أيام التوريطة ..

نظـرت لى نظـرة معاتبـة شـقية ، وضربـت كتفـى بأطـراف أصابعهـا ، فإسـتدركت بسرعـة ضاحـكاً ، وأنـا أنظـر إليهـا بحـب حقيقـى :

ـ قصدى الأيام اللى دخلتنى الجنة ..

«فين إيدك يا بابا ؟»

إنتبهـت إلى نـداء إبنتـى الصغـيرة (دنيـا) ، والتـى كانـت تتعلـق بيـدى اليـسرى لتسـتطيع السـير بقدميهـا الصغيرتـين ، فأعـدت لهـا يـدى ، وقـد توقفـت أنـا و(نـورا) عـن السـير ، فتشـبثت فى يـدى بأصابعهـا الرقيقـة ، فقلـت لهـا :

ـ تعبتى من المشى يا (دنيا) ؟.. تحبى أشيلك ؟..

فهـزت رأسـها بشـدة وعصبيـة ، وهـى ترفـض التوقـف ، والتخـلى عـن هـذه المتعـة ، وراحـت تمـشى بجانبنـا بخطـوات صغـيرة ، ناظـرةً بـين الحـين والآخـر إلى حذائهـا الصغـير والـذى يصـدر أصواتـاً مـع كل خطـوة تخطوهـا ، مـما جعلنـا نتابـع السـير ونحـن نضحـك ، فى حـين نظـرت (نـورا) إلى (دنيـا) بعينـين دامعتـين مليئتـين بالأمومـة الرائعـة ، وهمسـت :

ـ عارف (دنيا) تبقى إيه بالنسبالنا ؟؟..

فأجبت بسرعة :

ـ حياتنا ، وعمرنا كله ..

فإبتسمت (نورا) ، وقالت :

ـ مش كده وبس ..

ثـم أراحـت رأسـها عـلى كتفـى ، وقـد نسـت أمـر الشـارع تمامـاً ، وهـى تقـول بهمـس ناعـم :

ـ دى حبنا اللى شوفناه بيكبر وبيمشى قدامنا ..

obeikan.com

لم أستطع منع كلمة «أحبك» من الخروج ، لأُقبل بها أذنيها ، فشرعت أنطقها بهمس وحب ، كما تنطق هى كلماتها ، ألا أن الكلمة توقفت على لسانى فجأة ، وأنا أنظر أمامى..
الكلمة توقفت.. وقدمى توقفت..
وأنفاسى توقفت.. وخفق قلبى بسرعة ..
سرعة لم يخفق بها من قبل .. أو فى أى موقف مضى ..
فقد رأيتها .. رأيت (دنيا) ..
ليست (دنيا) إبنتى ، بل (دنيا) الأولى ..
حبيبتى الأولى ..
وفور أن رأيتها أمامى ، راحت الذكريات تتدفق أمام عينى ، فى تلك الثوانى القليلة التى توقفت فيها عن السير !!..
ذكريات حبى الأول ، أو جُرحى الأول بمعنى أصح والذى لن أنساه أبداً ..
ذلك الحب الذى تفتح عليه قلبى لأول مرة ، وذاق من خلاله أروع وأجمل مشاعر ، يمكن أن يحياها إنسان .. ذلك الحب الذى عشته مع حبيبتى (دنيا) ، التى كانت بالنسبة لى هى الحياة والعالم والبشر .. وكل شىء ..
ذلك الحب الذى إنتهى باستسلام (دنيا) لرغبة أهلها ، وتزوجت وهاجرت مع زوجها ، وتركتنى أعانى وأبكى دماً ، بعدما استسلمت أنا الآخر لعجزى وفقرى ، وعدم مقدرتى على الزواج وقتها ..
سنوات سوداء تلك التى مرت علىَ بعدها ..
كنت ساعتها متأكداً ، أن الحب لن يزور قلبى بعدها أبداً ، بعدما أفرغت فيها كل طاقة الحب التى كانت بداخلى ، وظننت أن قلبى قد أصبح مظلماً مقفراً ..

حتى قابلت (نورا) ..
«وقفت ليه يا حبيبى ؟!»
نطقت (نورا) بهذا السؤال بدهشة ، فنظرت لها بشرود ، وتابعت السير بخطوات ثقيلة بطيئة ، مرتكزاً بعينى على (دنيا) ، التى مرت على الناحية الأخرى من الشارع ، وبلا مقدمات رأتنى .. وتوقفت هى أيضاً !!..
لم أستطع التوقف ، فأشحت بوجهى بعيداً ، وأنا أغمغم بصوت فقد شهيته للكلام :
ــ يلا نرجع البيت ..
لم تعارضنى (نورا) إطلاقاً ، لأنها أحست بمشاعرها الرقيقة أن هناك شيئاً غامضاً قد حدث ..
وهكذا هى (نورا) دائماً ..
منذ أن عرفتها ..
كانت وقتها ــ ومازالت ــ - مثالاً للجمال والرقة ، وفى قمة الأخلاق والحياء والإحتشام ، مما جعلها تبدو فى نظرى مطمعاً لكل رجل يرغب فى الارتباط، ويود الإطمئنان لتلك الإنسانة التى تستحق أن يأتمنها على نفسه وعِرضه وكرامته ..
ثم أغرقتنى فى حبها ، الذى لا ينضب أبداً ..
كانت تعشقنى بكل مشاعرها الرقيقة ، التى جعلتنى أسلم نفسى لها ، وأترك قلبى لذلك الحب الغامر ، الذى فاض علىَ منها .. حينها وجدت نفسى أميل إليها ، ثم وبالتدريج خفق قلبى بقوة، بعدما تذوق الحب مرة أخرى ..
وفرحت بتلك المشاعر ، التى ظللت أفتقدها ، وظننت أنى حُرمت منها للأبد..

وتزوجنا ، فوجدتها بالفعل نعمَ الزوجة والحبيبة ..
وجائت إبنتنا (دنيا) ..
ساعتها ، أطلقت عليها الإسم ، وأنا لا أفهم نفسى حقيقةً ، ولا أعلم فعلاً لماذا فعلت ذلك !!.. ربما هى الذكريات ، التى ما زالت تتحرك داخلى .. أو ربما هو مجرد إسم فى حياتى ، أردت تسجيله وتخليده .. أو رغبةً منى فى أن أكون وفياً .. أو هو إحساس بالواجب ، تجاه حبيبتى الأولى ..
لا أعلم بالضبط ..
المهم أن (دنيا) أصبحت مجرد إسم لإبنتى ، فى حين غرقت مع (نورا) فى حبها ورقتها ، ومشاعرها التى جعلتنى أنسى كل حياتى قبلها ..
لكن (دنيا) عادت الآن .. ومن الواضح أنها عادت وحيدة .. سيرها منفردة وملابسها السوداء ، يدلان على ذلك .. وأنا لا أعلم ماذا أفعل ؟!.. وخفق قلبى بين حبيبتان .. حبيبة الماضى .. وحبيبة الحاضر والمستقبل ..
هذا إن بقى المستقبل على حال الحاضر ..
فأنا لم أعد أفهم ، ماهية ذلك الشعور الغامض بداخلى ..
حيرة ..
تخبط ..
وإنقسام ..
هل ظهرت (دنيا) الآن ، لتدمر أسرتى الصغيرة ، التى لا أقوى على فقدها؟!.. هل سيؤثر ظهورها ، على علاقتى بـ(نورا) ، أقرب مخلوقات الكون إلى قلبى؟!.. ولماذا ظهرت اليوم بالذات؟!..

ولأول مـرة أشـعر أنى قـد أخطـأت فى إختيـار هـذه الليلـة بالـذات للتنــزه ..
كان يجب أن أبقى بعيداً اليوم ..
مع (نورا) .. فقط مع (نورا) ..
و(دنيا) ..
إبنتى ..
«مش هتدخل ؟!»
قالتهـا (نـورا) ، ونحـن نقـف أمـام بـاب منزلنـا ، فأخرجـت المفتـاح ، وفتحـت البـاب ، ودخلـت (دنيـا) تركـض أمامنـا كعادتهـا ، وهـى تغنـى وتتمايـل ، ودخلـت أنـا وألقيـت نفسى عـلى أقـرب مقعـد ، وأنـا أتحـاشى نظـرات (نـورا) التـى تتابعنـى بتسـاؤل وقلـق ..
وكـما غـاص جسـدى فى المقعـد ، غـاص عقـلى فى أفـكاره مـرة أخـرى .. أفـكار غـير محـدودة ، وغـير مفهومـة .. وأحاسـيس متضاربـة ..
لكـن الـشىء الوحيـد الـذى كنـت متأكـداً منـه ، وسـط هـذه العاصفـة، مـن الأفـكار والخواطـر ، هـو شـعور قـوى بـأنى أريـد التحـدث إلى (نـورا) .. صحيـح أنهـا تعلـم القصـة ، وتعرفهـا جيـداً - مـع عـدم افصاحـى لهـا عـن الإسـم - منـذ أن حكيتهـا لهـا قبـل زواجنـا ، لكنـى أشـعر برغبـة شـديدة فى أن تعلـم مـا أشـعر وأفكـر بـه الآن ..
فهـى صديقتـى ، التـى لم أخبـىء عنهـا شـيئاً مـن أسرارى ومشـاعرى منـذ أن عرفتهـا ، ودائمـاً مـا أجدهـا متفاهمـة عاقلـة .. ومحبـه ، وهـى لا تسـتحق منـى الخيانـة ، حتـى ولـو كانـت فى التفكـير فقـط ..
«بابا .. بابا»
نظرت إلى (دنيا) وهى تركض نحوى بسرعة تكاد تسقطها أرضاً ،

وهـى تمسـك بكفهـا الصغـير ورقـة بيضـاء ، عليهـا بعـض الرسـوم الغـير واضحـة ، فإبتسـمت لهـا ، ورفعتهـا وأجلسـتها عـلى قدمـىَ ، فرفعـت هـى الورقـة أمـام وجهـى ، قالـت :

ـ بص رسمت إيه..

وراحـت تصفهـا ، وهـى تشـير بأصبعهـا الصغـير عـلى الخطـوط والألوان المتداخلـة، ووسـطها أشـارت لكيـان طويـل ، لـه مـا يشـبه الذراعـان والقدمـان ، وهـى تقـول :

ـ ده إنت يا بابا ..

ثـم أشـارت لبعـض الخطـوط بجانبـه ، وقالـت وهـى تضحـك وتخبـئ فمهـا بيدهـا عـلى طريقـة أمهـا :

ـ ودى ماما ..

ثـم أشـارت لشـكل صغـير وقصـير للغايـة يقـف بينهـما ، وهـى تقـول بخجـل :

ـ ودى أنا طبعاً ..

ودلكت شعرها بأصابعها ، وهى تقول بخجل مُحبب إلى قلبى :

ـ بس ماعرفتش أرسم نفسى كويس ..

وأشـارت لبعـض المربعـات والمثلثـات والدوائـر ، المنتـشرة عـلى الورقـة ، وقالـت :

ـ وده بقى بيتنا ..

وإبتسمت برقة وسألتنى :

ـ رأيك إيه يا بابا ؟؟..

نظـرت إليهـا ، بـكل مـا أحمـل فى قلبـى مـن حنـان وحـب .. فهـى بالنسـبة لى حيـاتى الماضيـة والحـاضرة بـل والأتيـه .. هـى حيـاتى كلهـا

obeikan.com

نظرت فيها متمعناً، فلم أجد فيها من (دنيا) إلا الإسم فقط ..
فقط ..
أما الملامح كانت ملامح (نورا) .. وإبتسامتها إبتسامة (نورا) .. وضحكتها ضحكة (نورا) .. وعيناها .. وحيائها .. وحتى ملمسها ودفىء ذراعيها الصغيرتان حين أحتضنها ..
كلها كانت (نورا) ..
وقد لاحظت هى إنى شردت منها ، فداعبت أنفى بإصبعها الصغير وكررت سؤالها ، فأجبتها :
ــ حلوه يا حبيبتى .. وكل ماترسمى رسمه جديدة ، ليكى هدية حلوه ..
فتهلل وجهها ، وهبطت من على قدمى بسرعة ، وركضت ناحية غرفتها ، وهى تهتف :
ــ طب إستنى ماتمشيش .. هرسم رسمه جديدة وأجيلك ..
ركض قلبى خلفها وهى تركض لغرفتها ، فى حين جائت (نورا) من خلفى ، وأحاطت رقبتى بذراعيها بنعومة ، وطبعت قبلة غاية فى الرقة على وجنتى، ثم ألصقت وجنتها بوجنتى ، وهى تهمس :
ــ حبيبى ..
أمسكت بكفها الرقيق بين أصابعى ، فى حين جائت هى ، وجلست على مسند مقعدى ، ومررت أصابعها الناعمة ، فوق خصلات شعرى ، وهى تقول بخفوت :
ــ أنا حسيبك لحد مانت بنفسك تبقى عايز تحكى وتتكلم ، وتقولى إنت ليه إتغيرت فجأة كده ، وإيه الحزن والحيره الى فعنيك دول ؟؟..

obeikan.com

فأومـأت أنـا بـرأسى إيجابـاً ببـطء ، ناظـراً إلى عينيهـا الدافئتـين ، فجذبـت هـى رأسى ، وأراحتهـا عـلى صدرهـا بحنـان بالـغ ، وأحاطتهـا بذراعيهـا برقـة لا يمكـن وصفهـا ..

وهنا خفق قلبى بقوة .. وسرعة ..

خفق كما لم يخفق من قبل ..

أو فى أى موقف مضى ..

أو مع أى حب إنتهى ..

ومـع خفقاتـه ، وخفقـات قلبهـا التـى أسـمعها ، تغـير كل شىء ، الأفـكار هـدأت .. الحـيرة إنتهـت .. التخبـط توقـف .. والآن قسـام إلتـأم .. وهتـف قلبـى بالحقيقـة وحدهـا ..

الحقيقـة أن قلبـى ليـس منقسـماً .. وأن مـا أُعانيـه هـو رغبـة أفلاطونية فى أن أحيـا إنقسـاماً ليـس لـه محـل مـن الإعـراب ..

ومع هذه الحقيقة ، أحسست بالإرتياح .. والدفئ .. والحب ..

ولأن الحقيقـة فقـط ، هـى مـا تفيـض بهـا مشـاعرى ، فقـد قفـزت هـذه الحقيقـة عـلى لسـانى ، ناطقـاً بالكلمـة التـى توقفـت عـلى شـفتى عنـد رؤيتـى لـ(دنيـا) ، وقلـت :

ـ بحبك ..

وأعدت رأسى بين ذراعيها ، وأنا أهمس لها ، مردداً خلف قلبى :

ـ أنتِ حبيبتى الوحيدة ..

إزداد إحتضانها لى دفئاً ، مع إزدياد خفقات قلبينا ..

وهنا هتفت (دنيا) من داخل غرفتها :

ـ أنا رسمت رسمه جديدة يا بابا ..

ورغم كل هذه المشاعر الصادقة والرائعة التى تجتاح روحى ، وذك

الهـدوء الـذى أصبـح سـيد الموقـف ، عـاد قلبـى للإنقسـام مـرة أخـرى بـين حبيبتـان ..
لكنه كان إنقساماً جميلاً ورائعاً هذه المرة ..
فبين أروع زوجة وأجمل إبنة ، كان قلبى ينقسم ..

***

obeikan.com

obeikan.com

تــوتــو

عدم المعرفة أفضل في بعض الأحيان !!

obeikan.com

obeikan.com

عُدت إلى منزلى ، وأنا أخطو داخله بحذر بالغ ، وتوتر غير عادى كالعاده كلما دخلته ، على عكس كل الرجال ، الذين يجدون راحتهم عند عودتهم إلى منازلهم ، ورحت أدور بعينى حولى فلم أجد أحداً ، إلا أنى لاحظت أن بعض قطع الأثاث ليست فى مكانها الطبيعى ، ومبعثره بعض الشيء ، فغمغمت بخفوت وضجر :

ـ آه .. يوم النضافة ..

ولم أكد أغلق الباب خلفى ، بطريقة إعتدت عليها حتى لا يصدر عنه أى صوت ، حتى سمعت بعض الأصوات القادمة من المطبخ، فأدركت أن زوجتى تعد طعام الغداء ككل يوم..

ويبدو أنها أيضاً ـ ككل يوم وبالرغم من حذرى فى الدخول ـ سمعت صوت الباب عندما فتحته ، فنادت من داخل المطبخ :

ـ إنت جيت يا حبيبى ؟..

فأجبتها بصوت منخفض ، أعلم أنها لن تسمعه :

ـ أيوا رجعت ..

ونظرت لغرفة أطفالى المغلقة ، وأنا أغمغم بصوت لا يكاد يخرج من بين شفتى :

ـ للأسف ..

فخرجت هى من المطبخ ، وإقتربت منى متسائلة :

ـ برضو ماجبتش الحداد معاك عشان سور البالكونة المكسور ؟..

obeikan.com

فألقيت جسدى على أقرب المقاعد الىَ ، وأجبتها بنفاذ صبر :
ـ ماجبتش الزفت ..
فقالت متبرمه :
ـ ليه بقى ؟.. أنا قلتلك تجيبه من أسبوع أو أكتر وإنت مطنش ، وأنا بصراحه خايفه ع العيال من الـــــ.....
فقاطعتها أنا بتوتر :
ـ إنتى عارفه أنا كنت فين ؟..
فنظرت إلىّ متسائله ، وجذبت مقعد وجلست بجانبى ، فقلت :
ـ كنت فى المستشفى علشان أطمن على مدير المصنع ..
فإنتبهت هى فى تلك اللحظة ، وسألتنى بإهتمام :
ـ عامل إيه ؟..
فأجبتها وأنا أنظر ناحية غرفة الأطفال المغلقة :
ـ زى ماتوقعت ..
ونظرت إلى عينيها ، وأكملت :
ـ بتروا دراعه اليمين..
فشهقت هى ، وقد صدمها الأمر بالفعل ، وصمتت قليلاً ثم سألتنى :
ـ إنت شوفته ؟..
فتنهدت أنا ، وقلت :
ـ مش عايز يقابل حد .. حالته النفسيه زى الزفت..
ساد الصمت بيننا لدقيقه أو أكثر ، ثم ربتت زوجتى على كتفى ، وهى تقول بتلعثم :
ـ طيب خلاص إنت زعلان ليه ؟.. دى إرادة ربنا .. هو قدره كده.. وبعدين إحنا مالناش إى ذنب فى اللى حصله ده..

obeikan.com

نظرت لها نظره حاده ، ثم أشحت بوجهى بعيداً ، فترددت هى لثوانى ، ثم قالت :

ـ و(توتو) كمان مالوش ذنب ..

توتر جسدى بأكمله ، لمجرد ذكر إسمه ، ففهمت هى ذلك ، فربتت على كتفى مرة أخرى وقالت :

ـ أنا عارفه إن الموضوع ده تاعب أعصابك وتفكيرك ، بس صدقنى هى دى الحقيقة رغم كل اللى بيحصل ..

ثم جلست على المقعد المقابل ، وهى تستطرد :

ـ كل اللى بيحصل ده قدر .. حاجة مكتوبة .. لكن (توتو) ده مجرد طـــ.....

زاد توترى مع حديثها ، فقاطعتها :

ـ طيب كفايه أرجوكى ..

فقالت بتعاطف :

ـ حاضر .. بس عايزاك ماتنساش إنه ورغم كل حاجة ده ابنك .. ابنك اللى بقيت بتتعامل معاه قليل .. قليل إيه ؟.. ده انت بطلت تتعامل معاه نهائى .. وبطلت تلعب معاه زى أى أب مع طفل فى سن (توتو) .. وبقيت بتتجنب انك حتى تشوفه .. ده إنت بتدخل وتخرج من البيت من غير صوت علشان هو مايحسش بوجودك أو عدمه !!..

ثم نهضت وأكملت :

ـ وصدقنى فى يوم هتعرف إن (توتو) ده هدية من عند ربنا .. وإن ربنا ميزه عن بقية الأطفال لحكمة هو وحده يعلمها .. وفى يوم هينقذنا من خطر كبير .. وهتشوف وتقول مراتى قالت ..

فنظرت أنا لها ، وحاولت أن أبتسم وقلت :

obeikan.com

ـ معاكى حق ..
فحاولت أن تبتسم هى وقالت :
ـ فوق كده وسيبك من الهم والإكتئاب اللى ماسكين فيك دول ..
ثم إصطنعت لهجة مرحه قائلة :
ـ غير هدومك ونص ساعة بالكتير ويكون الأكل جاهز ..
قالتها ثم توجهت الى المطبخ ، أما أنا فقد أرحت رأسى على ظهر المقعد ، مغمضاً عيناى ، و لم أكد أفعل حتى إنطلق عقلى يسبح فى أمواج كل تلك الأمور التى تشغله ، وتشغل زوجتى أيضاً ، رغم تظاهرها بالعكس ..
وكل تلك الأمواج كان يحركها فيضان واحد ..
(عصام) ..
إبنى الصغير (عصام) ..
أو كما يدعوه الجميع (توتو) ..
أصابتنى قشعريره قويه لمجرد التفكير فى إسمه ، الذى أصبح هو أكبر لغز ومشكلة وكارثة ، تأرق حياتى !..
فمنذ أن تزوجت واستقر بى الحال ، وأنجبت أكبر أولادى (يوسف) ، منذ عشرة أعوام، بل وحتى بعد ولادة (عصام) نفسه منذ ست سنوات ، كان كل شيء يسير على مايرام ، حتى تعلم (عصام) الكلام..
ساعتها أحسست أن إبنى (عصام) ، يتميز بغباء غير طبيعى ..
فعلاً أنا - وكل من حولى - لاحظنا ذلك الغباء والبلاهة فى (عصام)، على عكس أخيه (يوسف) الذى كان ذكياً لماحاً ، وقد ظهر ذلك على دراسته التى تفوق فيها فيما بعد ..
أما (عصام) فقد كان شيئاً أخر..
حتى أنى بذلت مجهود رهيب وخرافى فى محاولة تعليمه الأعداد ،

وأصابنى إرتفاع فعلى ومفاجئ فى ضغط الدم ، من جراء محاولة تلقينه بعض الحروف الأبجدية ..

والكارثة أنى وبعد كل ذلك أجده غير قادراً على التفرقة بين الحروف والأرقام!!..

إنه غبى .. غبى ..

وقمة غبائه تجلت ، عندما لاحظ أن بعض الأطفال فى العائلة لهم إسم تدليل غير إسمهم الحقيقى ، فصمم على إختيار إسم تدليل لنفسه مثلهم، وقد توقعنا أن يكون مشتقاً من إسمه كالعاده فى أسماء التدليل ، إلا أننا فوجئنا به قد اختار لنفسه أسم (توتو) المستفز هذا..

ولا أعلم ما هى علاقة (عصام) بـ (توتو) !!..

ولا أعلم من أين اتى بذلك الإسم الغبى !!..

وغبائه لم يتجلى فى إختيار الإسم فقط ، بل تجلى بالأكثر فى تطبيق الإسم ..

كان الجميع ينادونه بإسم (توتو) الذى إختاره لنفسه ، كإسم تدليل ، وبغبائه الخرافى ، إعتاد على الإسم ، حتى أصبح أن من يناديه بإسمه الأصلى ، لا يجيبه أبداً أو يعيره أدنى إهتمام ، مهما كان الموقف ومهما كانت الأسباب !!..

كلما ناديته بإسمه الأصلى يتجاهلنى بصورة مستفزة ، وما أن أفهم وأناديه بإسم (توتو) اللعين هذا ، حتى يتهلل بفرح ويقبلنى ويهتف .. «نعم يا حبيبى يا بابا» ..

وأصبحت مخاطرة أن يناديه أحد باسم (عصام) ..

وأصبح إسمه الرسمى هو (توتو) ..

غباء أسطورى !!..

وليت الأمر إقتصر على غبائه فقط ..
فقد كان ذلك الغباء بالنسبة لى مضحكاً فى بعض الأحيان ، لأن غبائه لم يكن أبداً مبرراً للإبتعاد عن إبنى الصغير ، أو أن تصل علاقتى به إلى ما وصلت اليه الآن ..
إلا أنه ومع الوقت ، ظهرت فيه المشكله الكبرى ..
أو الكارثة الكبرى بمعنى أصح..
(عصام) ليس كباقى الأطفال..
فقد أصبح لغزاً ، بالنسبة لنا منذ أن .....
إنقطعت أفكارى بغتة ، وأصابتنى قشعريرة قوية ، كادت تفكك جسدى إلى أجزاء ، عندما سمعت صوت باب غرفة أولادى ينفتح .. فلأنى أعلم أن إبنى الكبير (يوسف) ما زال فى مدرسته ، ولم يعود حتى الآن، فقد كنت متأكداً أن الذى سيخرج من الغرفة الآن هو ابنى الصغير (عصام) ..
(توتو) ..
وبالفعل خرج من الغرفة ، بقامته القصيرة البدينه ، وقدماه الحافيتين كالعاده ، وهو يرتدى شورت أسود ، وتى شيرت أخضر ، حاملاً دُميه صغيرة ، وبيده الأخرى يدلك عينه بأصابعه بغباء يكاد يفقأها !!..
وتكررت القشعريرة ، وقد أحسست برعب هائل ..
فخطواته المترنحه ، وعيناه النصف مفتوحتين ، واللتان إهترئتا من تدليكه الغبى بأصابعه ، كل هذا يدل على شيء خطير للغاية .. أنه مستيقظ من نومه تواً .. ومعنى استيقاظه من النوم ، أنه ربما كان يحلم .. وهذه هى المصيبة .. بل الكارثة بالمعنى الصحيح..

الكارثة التى أطاحت بهدوء حياتى، وجعلتها جحيماً لا يطاق ..
الكارثة التى لا يصدقها أحد..
فأحلام إبنى الصغير هذا تتحقق..
هذه هى الحقيقة المفزعة ..
كل أحلامه تتحول إلى واقع ..
هـذا هـو مـا إكتشـفناه بمجـرد أن إسـتطاع أن يخبرنـا بمـا يـراه فى أحلامـه بجمـل بسـيطة ، وكلـمات متلعثمـة ، وحـروف لم تنتظـم بعـد.. ثـم نفاجـئ ، بـأن مـا يرويـه لنـا بمنتهـى السـذاجة والغبـاء ، يتجسـد فى واقـع نـراه بمنتهـى الوضـوح والجـلاء !!..
فعلاً وبدون مبالغة ، كل ما يحلم به يتحقق !!..
فلـن أنـسى أبـداً عندمـا أخـبر أخـى أثنـاء زيارتـه لنـا ، أنـه شـاهده فى حلـم ، وهـو يحيـط قدمـه بلفافـة بيضـاء ضخمـة ، وظـل يضحـك بصـورة هسـتيرية ، وفى أثنـاء مغـادرة أخـى سـقط عـلى السـلم ، ولم تمـضى سـاعة واحـدة ، حتـى كان يضـع قدمـه فى جبـيرة ضخمـة ، وهـو يرمـق (عصـام) بتلـك النظـرات المرتابـة القلقـة!!..
وعندمـا إسـتيقظ مـن نومـه ذات مـره وسـقط أرضـاً مـن قـوة الضحـك ، وأخبرنـا بحلمـه الـذى رأى فيـه ، جيراننـا الذيـن يسـكنون أمامنـا ، وهـم يقـودون سـيارتهم بوضـع مقلـوب فى الشـارع ، ولم نفهـم مـا الـذى يقصـده إلا بعـد دقائـق قليلـة، عندمـا سـمعنا جلبـة فى الأسـفل فنظرنـا مـن الشرفـة ، لنجـد سـيارة جيراننـا قـد اصطدمـت بحافلـة ضخمـة ، وانقلبـت وهـى تندفـع وسـط السـيارات وهـى مقلوبـة !!..
وعندمـا أخبرنـا - وبـراءة الأطفـال فى عينيـه - انـه رأى صاحـب المطعـم الموجـود أسـفل البنايـة فى حلـم ، وهـو يخـرج النـار مـن جسـده وفمـه!!..

ولم يمضى يومان حتى كان الرجل يحترق مع مطعمه ، ويركض إلى الشارع والنار مشتعلة فيه بالكامل !!..

والمصيبة الكبرى ، عندما استيقظ يوماً من نومه ، وطلب من والدته أن تبتاع له علم مصر !!..

ولأن والدته تدلله بشدة ، فقد أحضرت له ما أراد ، وبمجرد أن أمسك العلم ، ظل يدور فى أنحاء المنزل ، وهو يهتف ويكرر «الشعب يريد إسقاط النظام» وأخبرنا أنه رأى الكثير من الناس ، يهتفون بهذا الهتاف فى ساحة ضخمة !!..

ساعتها بدا لنا الأمر غامضاً للغاية ، وغير مفهوم وبعيد عن أصعب توقعاتنا!!..

ولم تمضى ثلاثة أسابيع ، حتى حدث ما حدث ، وقامت الثورة !!..

وأخيراً عندما جاء مديرى فى المصنع الذى أعمل فيه ، وقد وجهت له دعوة للعشاء فى منزلى فجاء هو وزوجته وابنته ، وفور أن رآه (عصام) أخذ يضحك بغباء غير طبيعى ، بل وسقط أرضاً من شدة الضحك ، وعندما سأله المدير لماذا يضحك ، أخبره وهو يكاد يفقد وعيه من شدة الضحك ، أخبره أنه شاهده فى الحلم وذراعه اليمنى أقصر من اليسرى وبدون أصابع ، وأخذ يضحك بقوة ، والمدير الغبى نفسه أخذ يضحك معه وهو لا يفهم معنى أحلام (توتو) !!..

ولم تمضى ثلاثة أيام حتى أصيب المدير ، وهو يتفقد حالة أحد ماكينات المصنع ، وبالفعل أصبحت ذراعه اليمنى أقصر وبدون أصابع بعد بترها بالأمس !!..

والكثير والكثير من الأحلام التى تحققت بدون استثناء ، والتى

كانت تشترك جميعها فى شىء واحد .. أنها كوارث .. كلها نبؤات عن كوارث ومصائب ، ولم يحلم أبداً بشىء يدعو للتفاؤل ..
وكان يخبرنا بهذه الكوارث بكل بساطة ، بغباءه الرهيب وسذاجة الأطفال ، وضحكات قوية رنانة !!..
وفى كل مره كنت أصر أمام الجميع ، أن كل هذه هى مجرد صدف ليس أكثر، وأن إبنى مجرد طفل يحلم ، لكنى بينى وبين نفسى، كنت أعلم أن الأمر أكبر من مجرد صدف ، أو أحلام طفولية بسيطة ..
خاصةً عندما إستشرت رجال الدين..
ساعتها أخبرونى أن إبنى منعم عليه من الله بإحدى معجزاته التى لا تتكرر إلا نادراً جداً ..
معجزة الرؤى المستقبلية..
ولأول مرة فى حياتى ، ولأنى فاشل تماماً فى التعامل مع شبكة الآنترنت، لجأت الى أحد المكتبات العامة ، لأبحث عن كتب تتكلم عن هذا الموضوع ، وفوجئت بأن الموضوع حقيقى وموجود ، وقيد الدراسة من العلماء - فى الغرب بالطبع - وأن هناك حالات مسجلة رغم ندرتها ، تتميز بتلك المعجزة التى يسمونها الإستبصار ، أو «precognition» ..
تلك المعجزة التى جعلتنى أتحاشى الحديث مع إبنى ومداعبته ، وهو لم يتجاوز سنوات عمره الست بعد ، والتى تعتبر من أجمل سنوات الطفولة التى يستمتع بها كل أب ، حتى لا يخبرنى بأمر أحلامة ، أو رؤاه التنبؤية ..
تلك المعجزة التى تجعلنى أشعر بالتوتر والقلق كلما رأيته ، أو

سمعته يتحدث ، لأنى لم أعد أحتمل إنتظار تحقق كل كارثة يتنبئ بها فى أحلامه ..
لم أعد أحتمل فعلاً ..
فكما يقولون (وقوع البلا ولا إنتظاره) ، أما إنتظار البلاء ، فهو شيء رهيب للغاية ، يلتهم الأعصاب بلا رحمه أو شفقة ..
ومعرفة ما سيحدث مستقبلاً ، هى الجحيم بعينه ، خاصة وإذا كان الأمر المنتظر كارثة يشيب لهولها الوالدان ..
لكن ترى !!..
هل يمكن أن تكون زوجتى على صواب ؟.. هل يمكن أن تكون موهبة (عصام) هذه لحكمة إلاهية معينة ؟.. وهل يمكن أن ينجينا يوماً من كارثة ستلحق بنا عن طريق ما يتميز به ؟.. ربما..
لكنى وفى كل الأحوال لم أعد أحتمل أبداً ..
لم أعد قادراً على الـــــــــــــــ
فجأة بدأ (توتو) فى الضحك وهو ينظر إلىّ ببلاهه ويجلس على المقعد المواجه لى تماماً .. فشعرت أنا بتوتر رهيب وكدت أنطق بشيء ما إلا أنه راح يضحك وهو يهتف .. «يادى المصايب .. يادى المصايب»
ظللت ناظراً إليه ببلاهة تتحدى بلاهته ، بعدما هتف بهذه الكلمات ، ورأيته يكررها بسرعة مستفزة ، وهو يلطم جانبى وجهة بكفية بقوة ، ويضحك ضحكات قوية طفولية غبية !!..
وأخذ يكرر ما يفعل ، وهو يضحك بدون سبب ، إلا أنى فضلت أن أتجاهله ، فأشحت بوجهى بعيداً ، إلا أنه ظل يلطم خديه

بقـوة ، وهـو يـكاد يفقـد الوعـى مـن شـدة الضحـك ، وهـو يكـرر تلـك الكلـمات اللعينـة .. «يـادى المصايـب.. يـادى المصايـب»

فزفـرت أنـا بتوتـر ، وإتجهـت إلى غرفـة نومـى كى أسـتبدل ملابـسى ، وأنـا أتمنـى فى داخـلى أن يعـود الى نومـه ، حتـى أتخلـص مـن ذلـك التوتـر الرهيـب الـذى يعترينـى فى وجـوده..

وبدلـت ملابـسى وعـدت الى مقعـدى ، وللأسـف وجدتـه أمامـى عـلى المقعـد المقابـل ، أشـد إسـتيقاظاً مـن قـوات حـرس الحـدود ، سـاكناً صامتـاً ، لكنـه وفـور أن رآنى راح يهتـف بتلـك المصائـب ، ووجهـه قـد احمـر مـن شـدة اللطـم والضحـك المتواصـل !!..

لذلك وصل توترى الى ذروته ، ونظرت له قائلاً :

ـ (عصام) .. أدخل أوضتك وكمل نومك يا حبيبى ..

فنظـر بغضـب ، وألقـى الدميـة عـلى الأرض بعصبيـة ، وإسـتدار ليعطينـى ظهـره، إلا أننـى إسـتدركت بسرعـة ، قائـلاً بغيـظ :

ـ أدخل أوضتك يا (توتو) ..

فإلتفت إلى مبتسماً ببلاهه ، وهتف :

ـ حاضر يا حبيبى يا بابا ..

ورغـم أنـه أجـاب هكـذا ، إلا أنـه وبغبائـه المفـزع ، لم يعـود لغرفتـه بـل إسـتمر فى اللطـم والضحـك ، وهـو يهتـف ضاحـكاً :

ـ يادى المصايب .. يادى المصايب ..

إزداد توتـرى مـع كل هـذا ، فإندفعـت أنـا نحـوه ، وركعـت عـلى ركبتـىّ أمـام مقعـده ، وأمسـكت كتفيـه بعنـف ، وأنـا أهتف :

ـ بتعمل إيه يا متخلف إنت ؟..

فقال لى ، وهو ما زال يضحك :

ـ أنا بضحك على تيته ..

أحسست بالخوف ، وعقدت حاجبىَ ، وأنا أسأله بحذر :
ـ وإنت شفت جدتك فين ؟..
فواصل ما يفعله ، وأجابنى بكل بساطة :
ـ شفتها فى الحلم..
أحسست بدوار رهيب ، وأنى على وشك فقدان الوعى من شدة الصدمة ، إلا أنى تماسكت بصعوبة ، وأنا أسأله بصوت مبحوح منخفض ، حتى لا تسمع أمه ما أريد أن أسأل عنه :
ـ وإنت شفت جدتك أمى أنا ولا أم ماما ؟..
وهنا هتفت زوجتى من داخل المطبخ ، قائلة :
ـ ماتنساش لما تجيب الحداد تجيب واحد معاه من بتوع الغاز ، عشان التسريب زاد إنهارده وريحته ماليه البيت ..
لم أنتبه إلى ما قالته أصلاً ، وأعدت السؤال على (عصام) بخفوت :
ـ أمى أنا ولا أم ماما ؟..
فهتف بغباء ، بصوت عالى ، وهو يشير إلى المطبخ :
ـ أم ماما ..
فوضعت يدى على فمه ، ونظرت ناحية المطبخ ، حتى أطمئن أنها لم تسمع ما قاله ، ثم نظرت له ، وأنا أسأله بخوف :
ـ كانت جدتك بتعمل إيه فى الحلم ؟..
فعاد للضحك السخيف الغبى ، وهو يقول :
ـ كانت عماله تلطم وتصرخ وبتقول «يادى المصايب .. يادى المصايب» .. كانت بتضحكنى خالص ..
قالها ، وظل يضحك بقوة مقلداً ما كانت جدته تفعله فى حلمه، مرددا نفس الكلمات اللعينة ، التى تصيبنى بالرعب المُبهم !!..
فلم أجد سوى أن أجبره على الكف عن ذلك الضحك الهستيرى ،

وأنـا أسـأله وأعماقـى ترتجـف :
ـ وليه كانت بتعمل كده ؟..
فنظر لى بغباء ، وكأنه لم يفهم السؤال ، إلا أنه أجاب فجأة :
ـ يمكن علشان رجل عمو إتكسرت ..
فبهت وسألته بدهشة :
ـ وليه رجل عمك إتكسرت ؟..
فأجاب :
ـ يمكـن علشـان وقـع عـلى السـلم لمـا كان بيجـرى علشـان يلحقنـا هنـا ؟..
فإتسعت عيناى برعب ، وأنا أسأله :
ـ علشان يلحقكم من إيه ؟..
فأجابنى ببرآه :
ـ يمكن علشان خالتو كانت بتصرخ ..
فسألته بصوت مرتجف :
ـ وليه خالتك كانت بتصرخ ؟..
فقال بسرعة :
ـ يمكن علشان ماما كانت بتبكى ..
فهتفت بهلع :
ـ وليه ماما كانت بتبكى ؟..
فهز كتفيه ، قائلاً ببساطة :
ـ يمكن علشان أخويا (يوسف) مُغمى عليه ..
فقلت وقد تملكنى الرعب :
ـ وليه (يوسف) مُغمى عليه ؟..
فقال ببساطة متناهيه :

obeikan.com

ـ يمكن علشان وقع على دماغه ..
فسألته برعب :
ـ وليه وقع على دماغه ؟..
فرد بغباء ، وهو يشير الى منضدة صغيرة :
ـ لإنه كان واقف فوق الترابيزة ..
فسألته بعصبية زائدة :
ـ وليه كان واقف فوق الترابيزة ؟..
فدلك فروة رأسة بأصابعه ، وقال بغباء وملل :
ـ يمكن علشان يحط الشريط الأسود على الصورة ..
فإنتفض قلبى بداخلى ، وقلت برعب لا محدود :
ـ شريط إسود على الصورة ؟.. صورة مين يا (عصام) ؟..
فقطب حاجبيه بغضب ، وصمت تماماً ، وكان سيعطينى ظهره ، فهتفت وأنا أبتلع لعابى بصعوبة :
ـ صورة مين يا (توتو) ؟..
فتهلل وجهه ، وقبلنى على وجنتى ، وأشار الى الصورة التى تحتل أحد الحوائط ، هاتفاً بغباء لا محدود :
ـ صورتك يا حبيبى يا بابا ..
فإتسعت عيناى فى ذعر، وأخذت أنتفض بشدة ، وصارخاً :
ـ يابن الكلب .. يابن الكلب ..
وإرتجت أعماقى بشدة..
لا .. لا.. لا يمكن أن يكون هذا حقيقى ..
لا يمكن أن أحيا فى رعب ، فى إنتظار نهايتى ، بناءً على أحلام هذا اللعين ..
إنها خرافات ..

obeikan.com

مجرد خرافات طفل غبى ..
ثم وبكل إنفعالى صفعته بقوة ، وأنا أرتجف قائلاً :
ـ هى وصلت لكده يابن الكلب ؟!..
فنظـر لى بغبـاء رهيـب ، ثـم ابتعـد مـن أمامـى مسرعـاً ، فأسرعـت خلفـه ، متمنيـاً الإمسـاك بـه وقطـع لسـانه , وقـد وصلـت ثـورتى إلى أقصاهـا ، وفى لحظـة واحـدة وبـدون مقدمـات ، ركـض خائفـاً وفتـح بـاب البالكونـة ودخلهـا ، وإندفعـت ورائـه محـاولاً الإمسـاك بـه ، إلا أن سرعـة إندفاعـى جعلـت قدمـى تتعـثر بأحـد المقاعـد المتناثـرة ، فاندفـع جسـدى واصطـدم بسـور البالكونـة الحديـدى المكسـور، والـذى مـال لأسـفل بحـده وانكـسر فجـأة ، و.....
وتحققت أحلامه اللعينة مرةً أخرى !!..
وأثنـاء سـقوطى مـن إرتفـاع عـشرة طوابـق كاملـة ، كنـت أهتـف باسـمه مسـتنجداً :
ـ (عصام) .. (عصاااام) .. (عصاااااااااااام) ..
فـما كان منـه إلا أن ينظـر لى بغبـاء رهيـب وأنـا أسـقط ، واضعـاً كفيـه عـلى جانبيـه بتحـدى ، هاتفـاً بغضـب :
ـ إسمى (توتو) .. (توتو) .. (توتو).

***

obeikan.com

كم أنا رخيصة

ربما تعتاد مذاق الصبار حتى تتذوق العسل لأول مره !!

obeikan.com

obeikan.com

الجو بارد بالفعل هذه الليلة ..
خاصةً والوقت قد تجاوز منتصف الليل بساعة أو يزيد ، وعلى الرغم من هذا ، أخذت أركض خلفه بسرعة ، فى ذلك الشارع الجانبى المظلم ، وهو يهمس بين كل حين وأخر بكلمه واحدة لا تتغير ..... «بسرعه»
بعدها إنتهى ذلك الشارع الضيق المظلم ، وكان قد انتهى بنا على الطريق العام ، الذى راح يعبره هو بخطوات تميل إلى السرعة ، وأنا خلفه بخطوات شاردة ، فلم أنتبه إلى تلك السيارة المسرعة التى اتجهت نحوى وكادت تصدمنى بقوة ، لولا ذلك الإنذار الذى أطلقه قائدها ، والذى جعلنى أستيقظ من أفكارى وخواطرى ، وابتعدت عن مسارها بإرتباك ، فواصلت السيارة طريقها وقائدها يطلق بعض الشتائم التى لم أسمعها جيداً ، وأنا أنتفض فى وسط الطريق ..
فجاء هو من بعيد راكضاً ، واللهفة تتقافز من عينيه ، وتوقف أمامى وهو يلهث ، قائلاً :
ــ لا يا حبيبتى .. خلى بالك من نفسك .. عايز أوصل الأمانه سليمة ..
ثم استدار مواصلاً طريقه ، وأنا أتبعه فى صمت ، وقد عاد عقلى يشرد فى ما كنت أتأمله أثناء ما كانت ستصدمنى تلك السيارة على الطريق ، بل وأثناء الأيام القليلة الماضية ..
كان عقلى يركض - رغماً عنى - إلى ذكريات حفل زفاف (نور) ..

جـارتى (نـور)..
تلـك الفتـاة البسـيطة الرقيقـة التـى تسـكن بجـوارى ، والتـى كان حفـل زفافهـا منـذ بضعـة أيـام ، وقـد وجهـت الىَ دعـوة للحضـور - وهـى لا تعلـم حقيقتـى بالطبـع - ومنـذ ذلـك اليـوم ، ومـا رأيتـه هنـاك لا يفـارق خيـالى أبـداً ..
رغـم أن الزفـاف لم يكـن فخـماً ، ولم يكـن فى أحـد الفنـادق الكـبرى ، ولم يحـضره شـخصيات عامـة أو مـا شـبه ، وكان بطبيعـة الحـال ، وبحسـب مسـتوى عائلتـى العروسـين ، زفافـاً متواضعـاً بسـيطاً ، يضـم العائلتـين فى أُلفـه رائعـة ، وفرحـة لم أرى مثلهـا مـن قبـل ..
وقـد تـرك ذهـابى هنـاك شـيئاً بداخـلى ! ..شـيئاً لا أفهمـه..! ولا أسـتوعبه ..!
شـيئاً جعـل الزفـاف ومـا رأيتـه فيـه لا يكـف عـن مداعبـة خيـالى ، طـوال الأيـام الماضيـة ، حتـى فى نومـى ، حيـث كانـت أحلامـى أيضـاً تـدور فى فُلـك ذلـك الزفـاف المتواضـع !..
وأنا التى قد ظنت أنى لم أعد أحُلم ..
مازلـت أحفـظ بدقـة عجيبـة كل الأحـداث والتفاصيل والوجـوه ، وحتى تلـك الأضـواء التـى كانـت تتألـق بمختلـف الألـوان والأشـكال ، والمـكان كلـه مـن شـدة الإضـاءة يبـدوا وكأنـه قـد تحـول - برغـم بسـاطته - إلى نهـار مـشرق جميـل..
«وصلنا»
أفقـت مـن ذكريـاتى القريبـة المضيئـة ، لأجـد نفـسى فى ظـلام الشـارع الكئيـب المقفـر ، الـذى نسـير فيـه ، وهـو يهتـف بى ويركـض نحـو سـيارة فخمـة تقـف بجانـب الطريـق المظلـم ، فتبعتـه إليهـا حتـى

وصلها وفتح بابها الأمامى ، وجلس بجانب صاحبها ، وكنت أنا أعرف مكانى كالمعتاد ، ففتحت باب السيارة ، وجلست على مقعدها الخلفى وحدى ..

ودون وعى قفز ذهنى الى (نور) .. وزفاف (نور) ..

كانت تجلس على مقعدها الضخم بجانب عريسها..

كان مقعدها ضخم أنيق أبيض ، مزين بالورود والأزهار من مختلف الألوان فى تشكيلات أقل ما يقال عنها أنها رائعة .. وكان مقعد العريس كذلك مزين متألق ، ولم يكن جمال المقعدين يساوى شيئاً ، أمام روعة (نور) وعريسها فوقهما ، يتبادلان النظرات الرقيقة ، وهمسات الحب الناعمة التى لا تكفى أموال الدنيا بأكملها لتقديرها ..

كنوز العالم بأسره وأمواله ، لم تكن تساوى تلك النظرات التى تتبادلها العيون..

« عايز كام يا (سلطان) ؟»

إستيقظت على صوت قائد السيارة الأجش ، وكنت أرى جانب وجهه من موضعى ، فألقيت نظره على مرآة السيارة لأرى ملامحه ، فقد كان ذو شارب كثيف ، ورأس أصلع وملامح فظة قاسية ، تتناسب همجيتها مع ملابسه التى يتضح عليها الثراء الفاحش ولا تمت بصلة للذوق والتناسق..

كان يتكلم وهو ينفث دخان سيجارتة كتنين بشع ، وهو يوجه سؤاله إلى (سلطان) ، الذى يجلس بجانبه ، والذى رد عليه قائلاً بإبتسامة لزجة ، يعتريها بعض الضيق :

ــ زى ما إتفقنا يا (عزيز) بيه ..

فزفر (عزيز) بضيق ، وضرب بيده على عجلة القيادة ، وهو يقول :
ــ إنت مش شايف إن اللى إنت طالبه ده كتير ؟..
لم أدرى لماذا هزنى هذا الحوار من أعماقى ، رغم أننى أعتاد عليه دوماً ، ولم تعد مسألة المساومة على ثمن السلعة التى هى أنا ، تأذينى من قريب أو من بعيد ، إلا أن هذه المره كان إحساسى يختلف ..
ربما لأن هذا الحوار يذكرنى بحقيقتى ..بل يواجهنى بها .. ويؤكد لى كم أنا رخيصة ، حتى تحولت إلى سلعة يبيعون ويشترون فيها ..
« مفيش حاجة فى الدنيا تغلى عليك يا (عزيز) بيه»
قطع صوت (سلطان) أفكارى ، بصوته العالى المستفز ، ثم أضاف قائلاً :
ــ وعموماً أ نا لو طلبت كتير فده لأنى أنا كمان هديك حد عنده حاجات كتير ..
وصمت لحظة أطلق خلالها ضحكة لزجة ، ووضع سيجارتة هو الأخر بين شفتيه ، ثم أكمل :
ــ وممكن تشوف بنفسك ..
فإلتفت الىَ (عزيز) ، ومد يده إلى رقبتى ومرر يده عليها ، وهو يقول بابتسامة أقل ما يقال عنها إنها مقيتة ، خاصةً مع الدخان الذى يتصاعد من بين كلماته :
ــ عامله ايه يا قمر ؟..
بالطبع لم يكن يقصد السؤال عن حالى بالفعل ، بل كان يقول أى كلمة تتبادر إلى ذهنه ، وهو يلعق شفتيه المشققتين بلسانه ، ونظراته الحيوانية تتطاير من عينيه ، أثناء ما كان يمرر يده ببطأ

عـلى ثديـىَ ، وظهـر عـلى وجهـه فجـأة الأسى والحـزن ، وهـو يقـول بصـوت متهـدج :

ـ إنت عارف يا (سلطان) إنى عندى عقدة من وأنا صغير ؟..

فإنتبه (سلطان) فى هذه اللحظة ، وسأل :

ـ عقدة إيه يا (عزيز)بيه ؟..

فأجابة بصوت يتحول من الحزن إلى الضحك فجأة :

ـ إتفطمت قبل معادى ..

ضحـك الإثنـان بقـوة ، وسـعل (عزيـز) بعنـف ، وألقـى سـيجارته بعيـداً ، وهـو يقـول ناظـراً إلى جسـدى :

ـ عليا الطلاق لازم أخلص من عقدتى دى الليلة ..

ضحـك (سـلطان) بنفـاق كعادتـه مـع ذلـك المأفـون ، الـذى مـد يـده إلى جسـدى ثانيـةً ، وهـو يضحـك بقـوة ..

مـا الـذى يحـدث لى .. جسـدى يرتجـف بعنـف مـع لمسـاته .. مـا الجديـد فى مـا يفعـل ؟.. إنهـا ليسـت المـره الأولى التـى يعبـث فيهـا أحدهـم بجسـدى .. ليـس جديـداً عـلىَ أن أتـرك جسـدى لمـن يدفـع الثمـن .. إذاً مـا هـذه الإرتجافـه التـى تعصـف بأعماقـى .. مـا هـذا الإشـمئزاز الـذى يمـلأ كيـانى تجـاه ذلـك الحقـير .. وتجـاه نفـسى قبلـه .. المفـروض أن يكـون رد فعـلى مختلفـاً الآن .. عـادةً أضحـك وأتعمـد زيـادة إثارتـه ورغبتـه ..

أمـا مـا أشـعر بـه الآن مـن غثيـان وإشـمئزاز مصاحبـاً للمسـاته ، لم أعهـده فى نفـسى مـن قبـل !!..

ولم أدرى لمـاذا قفـز ذهنـى فى هـذه اللحظـة إلى حفـل زفـاف (نـور)، وبالتحديـد إلى تلـك اللحظـة التـى رأيـت فيهـا العريـس يمـد يـده

obeikan.com

ليضعها على يد (نور(وأمسك أناملها برقة ، ورفعها إلى شفتيه، وطبع عليها قبلة حانية رقيقة ، فتفاجأت هى واحمر وجهها فى خجل ، وسحبت يدها من بين أصابعه بسرعة ، وتألقت على وجهها ابتسامة رائعة ، ثم رفعت يدها لتخفى شفتيها خوفاً من أن يرى أحد ابتسامتها الخجولة ، وفى نفس اللحظة بادلها العريس بضحكة أخرى مليئة بالاعجاب والحب ..

« مبتضحكيش ليه ؟؟»

إنتزعنى صوت (عزيز) الغليظ من أفكارى ، فنظرت له ببرود ، فلوح بيديه قائلاً :

ــ لأ .. لأ .. إفردى وشك .. النهارده العيد الرسمى لقلة الأدب ..

قالها ثم انطلق للضحك بصوت قبيح ، يتصاعد من صدره قبل حنجرته ، فواصل (سلطان) الضحك معه بلا مبرر ثم قال بخبث :

ــ لا يا (عزيز) بيه .. دى عليها ضحكة بتحرك كل حاجة ممكن تتحرك ..

واصل (عزيز) ضحكاته الخشنة ، فى حين قال (سلطان) لى :

ــ ماتسمعينا ضحكتك الحلوه يا عروسة ..

قالها وإنفجر ضاحكاً ، وضرب كفه بكف ذلك الحقير (عزيز) ، وحاولت أنا أن أطلق ضحكة خليعة كما أفعل دائماً مع الزبائن الذين يأتينى بهم (سلطان) ، ولكن منعتنى تلك الغصة التى توقفت فى حلقى ، خاصةً بعد كلمة «ياعروسة» التى نطقها (سلطان) ، وشعورى بمدى حقارتى ودنو قيمتى مع كل كلمة أو جملة تقال ..

ورغم عدم خروج الضحكة كما ينبغى ، وجدت (عزيز) يخرج النقود لـ (سلطان) قائلاً :

ـ وآدى يا سيدى نفس المبلغ اللى طلبته عـــ.
قاطعـه (سـلطان) وهـو يلقـى سـيجارته أرضـاً ، ويعـد النقـود بسرعـة دون أن أراهـا ، ثـم يضعهـا فى جيبـه ، قائـلاً :
ـ من غير ماتقول يا (عزيز) بيه ، هعملك خصم المره الجايه ..
قالهـا وضحـك ثـم غـادر السـيارة ، ثـم نظـر إلى (عزيـز) بـك وغمـز بعينـه قائـلاً :
ـاتمنالك ليله بسبوسة في أحضان النونوسه ..
ثم نظر الىَ وقال ، وهو يهز رأسه :
ـ بكره أشوفك يا جميل ونغنى المواويل ..
ثـم بـدأ يضحـك وهـو منـصرف بخطـوات مسرعـة ، حتـى اختفـى فى ظـلام أحـد الشـوارع الجانبيـة ، فتابعـه (عزيـز) بنظـره ، وقـال هـو يضحـك بنفـس الصـوت الكريـه :
ـ أول مرة فى حياتى أقابل قواد شاعر ..
ثـم أخـذ يضحـك ، وكأن جملتـه قـد راقـت لـه كالعـادة ، وقبـل أن يديـر محـرك السـيارة ، نظـر إلىَ فى المـرآه وقـال :
ـــ مـش هتيجـى تقعـدى جمبـى ، ولا إنتـى فاكـرانى السـواق الخصوصى الـلى جابهولـك بابـا في عيـد ميلادك الـلى فـات ..
راح يضحـك عـلى هـذه أيضـاً ، فنزلـت أنـا مـن المقعـد الخلفـى وجلسـت بجانبـه، بينـما أخـذ هـو يتطلـع لجسـدى بشراهـه أعهدهـا فى مـن هـم مثلـه ، وهـو يديـر محـرك السـيارة ، التـى انطلقـت بنـا فى الظـلام ، ولم تكـد تقطـع بضعـة أمتـار حتـى إسـترجعت مشـهد رأيتـه منـذ أيـام..
مشهد سيارة (نور) وعريسها ..

كانت سيارة بيضاء رائعة مزدانه بالشرائط الملونة ، وفى مقدمتها باقة من الزهور ، لا ينافسها جمالاً سوى تلك الباقة التى تحملها (نور) فى يدها ، وكان من أروع ما رأيت عندما فتح العريس باب السيارة لـ (نور) بكل حب واحترام ، وساعدها فى لملمة أهداب ردائها الأبيض الطويل ثم جلس بجانبها ، وتحركت بهما السيارة ، وأصوات الموسيقى وأضواء المصابيح ودعوات الرجال وزغاريد النساء تودعهم ..

« إنتى ساكته كده ليه ؟.. هو إنتى خرسه ؟»

هتف (عزيز) بهذه العبارة ، فأخرجنى من الصورة الوردية التى كنت فيها، لأجد نفسى فى الظلام نفسه ، ووجهه القبيح يواجهنى وهو يقول :

ـ باين عليكى مش من النوع بتاع الكلام الكتير ..

ثم ابتسم ابتسامة قذرة وهو يقول :

ـ أنا عارف بنات الليل الى زيك .. ماتحبش الكلام إياه .. لكن أول ماتقلعى هدومك وتترمى ع السرير تطلع المواهب كلها ..

قالها ثم أخذ يضحك بقوة ، وبدا مظهره أكثر بشاعة ، وهو يضحك بهذه الصورة .. ولا أدرى لماذا دمعت عيناى من هذا الكلام لأول مرة ..

ربما لأنه وصفنى بحقيقتى .. الحقيقة التى لا أقوى على ترديدها فى ذهنى رغم أنى أعيشها .. الحقيقة التى بها أعرف وأفهم كم أنا رخيصة .. ورغم هذا ، غمغمت بصوتٍ مبحوح:

ـ أنا مش بنت ليل ..

ففوجئت به يضحك هاتفاً :

ـ منا عارف .. هو مش حضرتك (حشمت عفت عصمت) ..

دكتـورة المـخ والأعصـاب ؟..
وبعـد أن قالهـا عـلا صـوت ضحكتـه المسـتفزة مـرة أخـرى ، وراح يسـعل بقـوة ويبصـق لعابـه القـذر خـارج السـيارة ، وقـال :
ـ بس الليله دى أنا مش محتاج دكتورة مخ وأعصاب ..
ونظر إلىَ قائلاً بصوت منخفض ، وهو يحرك حاجبية لأعلى وأسفل:
ـ أنا محتاج خبيرة فى التعامل مع الصواريخ..
تصاعـد صـوت ضحكاتـه بعدمـا قالهـا ، فى حـين إلتمعـت الدمـوع فى عينـى أكـثر وأكـثر .. معـه حـق فى هـذا .. مـاذا أكـون أنـا غـير مـا قـال؟.. بنـت ليـل ..أى وصـف أخـر يمكـن أن أتصـف بـه ؟.. مـن تكـون مـن تبيـع جسـدها وعرضهـا لـكل مـن يدفـع الثمـن ؟ ..مـاذا تُسـمى مـن سـلمت نفسـها لكائـن آخـر مـا يتصـف بـه هـو أنـه رجـل، ليتاجـر بهـا وبعرضهـا ؟.. مـاذا تدعـى مـن تجـردت مـن كرامتهـا وإنسـانيتها ، لتصبـح مجـرد سـلة قمامـة يلقـى فيها أى شـهوانى ، قـاذورات شـهوانيته وحيوانيتـه ؟..
وهكـذا أنـا .. تخليـت عـن شرفى وكرامتـى .. وتخليـت حتـى عـن خـوفى مـن خالقـى ، الـذى خلقنـى إنسـانة حـرة ، ووهبنـى جسـداً أحميـه وأحفظـة ، حتـى أعطيـه طاهـراً نقيـاً للإنسـان الـذى سـيكمل معـى حيـاتى ..
وأنـا تركـت كل هـذا وأصبحـت مجـرد شىء يُسـتعمل ، ثـم يلقـى أرضـاً وتدوسـه الأقـدام ..
توارثـت النجاسـة التـى فتحـت عينـىَ عـلى الحيـاة ، لأجدهـا كالمـأكل والمـشرب فى بيتنـا.. وهـا أنـا .. حقـيرة .. متدنيـه.. ورخيصـة ..
«بتعرفى ترقصى ؟»

إنتزعنى من أفكارى بسؤاله ، فنظرت إليه ببطأ فواصل كلامه قائلاً :

ـ لما نوصل ياقمر إنتى هتقدمى الفقرة الأولى اللى بموت فيها ..

صمت لحظة ثم أردف :

ـ فقرة الرقص الشرقى ..

ثم لوح بيده اليمنى وهتف :

ـ وبعدها هقدم أنا الفقرة اللى هتموتى فيها ..

وغمز بعينه وقال :

ـ فقرة الساحر ..

قالها وراح يضحك بقوة على جملتة السمجة ، بينما جعلنى كلامه أتذكر ما رأيته هناك فى زفاف (نور) ، عندما رقص العروسين تلك الرقصة الهادئة ، على نغمات الموسيقى الحالمة ، بينما خفتت الإضاءة ، وصمت الجميع وهم ينظرون للعروسين بعيون تملأها الفرحة من الكبار ، وعيون تملأها الغيرة من الشباب ..

كان العريس يضع يساره على خاصرة (نور) ، بينما تضع هى يمينها على كتفه ، وتضع يسراها بين أصابع يده اليمنى ..

كان الإثنان يتمايلان معاً ، والعريس يحاول جذبها إليه ضاحكاً ، بينما هى تضحك وتحافظ على المسافة بينهما ، والشباب حولهم يصفقون ويهتفون ، أما العروسين فقد إنفصلا عن العالم تماماً ، وكأن كل منهما قد صار عالماً خاصاً للأخر ..

«روحتى فين ؟»

صوت (عزيز) الخشن ، جعلنى أعود لما أنا فيه ، فنظرت إليه نظرة طويلة لاحظها هو ، فنظر إلىَ وقال :

ـ ماتحكميش عليا دلوقتى ، أنا بس أقلع هدومى وببقى (توم

obeikan.com

كـروز) ..
راح صـدره يصـدر ذلـك الصـوت الكريـه مـع ضحكاتـه العاليـة ، ورغـم أنى قابلـت مـن هـم أكـثر منـه بـروداً وشـهوانيةً وقبحـاً ، إلا أنى شـعرت أنى لا أسـتطيع أن أتحملـه أكـثر مـن هـذا..
«إنت عايز منى إيه ؟»
هتفـت أنـا بهـذا السـؤال الغريـب فجـأة ، والـذى لا أدرى لمـاذا أسـأله.. هـل أتوقـع منـه رداً مهذبـاً ؟.. هـل أتوقـع إنـه يريـد منـى شـيئاً سـوى إشـباع رغباتـة؟.. لكـن انتظـارى للـرد لم يـدم طويـلاً ، حيـث قـال :
ــ الله يحرقك يا (سلطان) .. إيه البلوه اللى بليتنى بيها دى ؟!..
وتنهد وواصل قائلاً بسخرية واضحة ، مختلطة بنفاذ صبر :
ــ مـش عايـز منـك حاجـة .. إحنـا بـس دلوقتـى هـنروح بيـت ظريـف، فيـه أوضـة نـوم دمهـا خفيـف ، جواهـا سريـر عسـول ، هنقعـد عليـه ونذاكـر أحيـاء ..
قالهـا وأخـذ يضحـك ، وكأنـه لا يمـل الضحـك عـلى السـخافات التـى ينطـق بهـا ، الا أنـه توقـف عـن الضحـك عندمـا هتفـت أنـا :
ــ أنا مش هروح معاك ..
فأوقف السيارة على جانب الطريق فجأة ، وقال :
ــ عايزه تلعبى هنا في العربية ؟.. معنديش مانع ..
لم أسمعه ..
كنـت مشـغولة مـع ذلـك الشـعور الجديـد بداخـلى ، ومـع تلـك الصحـوة التـى إنطلقـت فى أعماقـى وهـذه الإنتفاضـة التـى تعلنهـا خفقـات قلبـى .. وقبـل أن أعـرف حقيقـة مـا أنـا فيـه.. أو أفهـم .. أو أسـتوعب .. هتفـت بعصبيـة وبـلا وعـى :
ــ نزلنى هنا ..

فانعقد حاجباه فى شدة وغمغم:
ــ إيه ؟!..
ثـم انقلبـت سـحنته إلى أخـرى أكـثر بشـاعة ، وهـو يمسـك ذراعـى بقـوة هاتفـاً :
ــ إسـمعى يابنـت الكلـب إنتـى ، أنـا دفعـت للكلـب الـلى مشـغلك الـلى يخليـكى جاريتـى النهـارده ، وإذا كنتـى هتعيـشى عليـا دور الشرف عشـان فلـوس زيـاده ، فأنـا ليـا كلام تـانى مـع الحيـوان ده .. لكـن دلوقتـى إنتـى بتاعتـى وتحـت جزمتـى أعمـل فيـكى الـلى أنـا عايـزه .. كنـت أنتفـض أمـام ملامحـه ، التـى يطـل منهـا الشـيطان بأبشـع صوره..لكـن صـورة أخـرى كانـت تسـيطر علىَ.. صـورة (نـور) بـكل مـا فيهـا.. جمالها..كرامتهـا .. طهارتهـا .. فرحـة النـاس بهـا .. وغلوهـا فى نظـر عريسـها ..
أصـوات التهـانى .. الموسـيقى .. الزغاريـد .. وأمنيتـى أن أصبـح مثلهـا.. مثـل تلـك التـى جعلتنـى أسـتعيد شـعورى بكرامتـى وإنسـانيتى .. وهنا..
إندفعـت خـارج السـيارة مسرعـه ، لكنـه خـرج هـو الأخـر ودار حـول مقدمـة السـيارة بسرعـة ولحـق بى ، وأمسـك ذراعـى بشراسـة ووحشـية وهتـف :
ــ هاخد اللى أنا عايزه منك حتى لو هنا ..
وأمسك بثوبى بيديه ومزقه بهمجية ، وهو يهتف بغضب :
ــ أنا دافع فلوس ..
حاولـت أنـا أن أصرخ أو أسـتنجد بـأى شـخص، ولكـن لسـوء حظـى كان الطريـق مهجـوراً خاليـاً مـن أى شـخص أو مسـكن ، لكنـى إسـتطعت وبصعوبـة التملـص مـن بـين ذراعيـة القويتـين ، وشرعـت أركـض مسرعة

حتى أن حذائى إنخلع منى وسط الطريق ، إلا أن هذا لم يوقفنى فأخذت أركض مبتعده بكل قوتى ..
أما هو فلم يستطع اللحاق بى لضخامة جسده ، وأنفاسة التى تلاحقت ، فعاد إلى سيارته يستشيط غضباً ، وهو يهتف :
ـ هقتلك ..
وإستقل سيارته وأدارها بسرعة ، وفجأة وجدته يندفع بها نحوى بأقصى سرعة..
وحاولت أن أتفاداها ، ولكن لأن الطريق كان خالياً ، إستطاع هو بسهولة أن يصدمنى بكل قوة فشعرت بجسدى يطير ، ويصطدم برصيف الشارع بعنف ، ثم سقطت أرضاً ، وأنا أشعر بدوار يسيطر على كل خلية منى ..
وجاء هو بعدما هبط من سيارته وألقى نظرة علىَ ، فإتسعت عيناه فى ذهول ورعب ، وإستقل سيارته مرة أخرى وإنطلق هارباً..
لقد رأى الدماء التى تنزف منى بغزارة ، فتركنى أموت وسط الطريق كأى حيوان رخيص.. لقد ظن أنها نهايتى .. لكن لا ..
أنا أشعر بشىءٍ أخر.. أشعر أنى لن أموت الآن .. أشعر أن دمائى ستكون ثمناً للمغفرة.. وأن سقطتى ستكون بدايةً للصحوة ..
وبعينان نصف مفتوحتين نظرت إلى السماء ، وبصوت لم يخرج من بين شفتى صليت ..
«يـــــا رب .. سامحنى على اللى فات .. وإعصمنى في اللى جاى.. ساعدنى أكون إنسانة ، لها كرامتها وإنسانيتها .. إنسانة زى ما خلقتنى أنت يارب .. وإنى ماكونش رخيصة بعد إلنهارده أبداً»
وشعرت براحة بالغة لم أشعر بها من قبل ، بينما الرؤية أمامى راحت تظلم .. وتظلم .. وتظلم ..

obeikan.com

obeikan.com

الحب أفضل

كُلنا نتمنى القضاء على من نخافهم !!

obeikan.com

obeikan.com

زوجى العزيز ..
أعـم أنـك مادمـت تقـرأ كلـماتى هـذه ، فقـد عـدت للمنـزل متأخـراً كعادتـك، وتسـتعد الآن للنـداء بإسـمى ، حتـى أهـرع إليـك مسرعـةً ، وأقـوم بتحضـير طعامـك ، وأنـا أنتفـض ..
وأعلـم أيضـاً أنـك قـد خمنـت بذكائـك ، وأنـت تقـرأ هـذه الكلـمات ، أنى قـد تركـت المنـزل ، وذهبـت إلى بيـت والـدى ، وتركـت لـك هـذه الوريقـات ، التـى تمسـك بهـا الآن ، والتـى حاولـت أن أسـجل عليهـا كل مـا يـدور بداخـلى ، وكل مـا أريـد قولـه لـك ..
وبالطبـع ستسـخر أنـت كعادتـك ، عندمـا تجـد هـذه الوريقـات فى انتظـارك ، وسـوف تقـول بينـك وبـين نفسـك أن عقـلى قـد فسـد مـن مشـاهداتى للأفـلام العربيـة ، التـى يحـدث فيهـا هـذا الموقـف دائمـاً ، أو سـتغمغم بتلـك الكلمـة التـى تصفنـى بهـا دائمـاً .. ألا تصفنـى بـأنى «قديمـة» ؟..
لكنـى أحـب أن أصحـح لـك ، أن مـا يحـدث فى تلـك الأفـلام ، هـو أن تـترك الزوجـة ورقـة صغـيرة زوجهـا ، تكـون قـد قـد كتبـت فيهـا عتابهـا أو غضبهـا ، أو سـبب هروبهـا بكلـمات موجـزة قليلـة ، أمـا أنـا فلـم أهـرب أولاً ، وثانيـاً لم أسـتطع أن أوجـز شـكوتى أو أختصرهـا ، بـل لقـد

وجدت على الورق ، مساحة وحرية كافيتان لإفراغ كل ما بداخلى، تجاهك وتجاه نفسى ..

زوجى العزيز ..

فى هذه الوريقات ، سأعاتبك على كل ما لا أستطيع قوله لك وجهاً لوجه، أو حتى عبر الهواتف ، حتى لا تتسع عينيك كالعادة ، وتثور وتغضب ، وتقطع علىَ طريق الشكوى ، أو العتاب ، حتى تضع كل شىء تحت السيطرة كالعادة..

ولن أطيل عليك ، حتى لا تمل أو تتملكك العصبية ، بل سأدخل فى صلب الشكوى ، التى أشكوها منك وإليك ..

فأنا يا زوجى الحبيب ، أشعر بما لا ترضاه أنت لى .. أشعر بالمهانة.. أشعر بالذل .. أشعر بالقهر .. والسبب هو أنت ..

وقبل أن تغضب أو تستنكر ، أو تتهمنى بأنى أقول ما لا أفهم ـــ كما تنعتنى دائماً ـــ سأوضح لك كل شىء ومنذ البداية ..

منذ أن تقدمت لخطبتى ، وقد رأت عائلتى إنك زوج مناسب، كضابط شرطة محترم ، لديه إمكانيات معقولة ، وقد شعرت تجاهك بالإنبهار منذ أن جلسنا سوياً لأول مرة ، رغم عدم إقتناعى المسبق بهذه الطريقة للزواج ..

كنت أحلم دائماً ـ كأى فتاة ـ بقصة حب قوية تنتهى بزواج سعيد ، وعش دافىء مع من أحب ، وقد وجدت فيك كل هذا، أو توهمت أنى وجدت ما أحلم به وأنا أجلس معك ، وألاحظ أخلاقك وجديتك ..

لكنى ـ وبعد خطبتنا ـ لاحظت شيئاً أخر ..

طريقتك فى معاملتى ..

كنت دائماً تتعامل معى بطريقة عجيبة لم أفهمها منذ البداية ..
كنت تريدنى أن أعلم وأستوعب ، أن الرأى هو رأيك وحدك ، وكلامك فقط هو الحقيقة والصدق ، حتى لو كان هو الكذب ، متجسداً فى كلمات .. أنت المُسيطِر وأنا المسيطَر عليها فى كل الأحوال ..
كنت تحاول دائماً إخبارى بتلك القوانين ، بطريق غير مباشر ، لكنى ـ للأسف ـ لم أفهم منذ البداية ، وظننت فقط أن هذه هى طريقتك للتعامل بشكل عام ..
وتم زواجنا منذ عام تقريباً ، وبعد فترة خطبة قصيرة للغاية كما أردت انت، وليتها طالت حتى أفهم ..
المهم أنه وبعد زواجنا ، بدأت ألاحظ أشياء أخرى جديدة ، ظهرت على السطح ..
لا دعابات بينى وبينك .. ولا ضحكات .. لا مقاطعة أثناء حديثك، حتى ولو كنا وحدنا .. كل حديثك الموجه لى عبارة عن أوامر ونواهى بلا مبرر أو منطق ، وقمة فى التعسف والظلم والإستبداد .. حدود قوية بينك وبينى من ناحية وبينك وبين عائلتى من ناحية أخرى !..
وبعد فترة قصيرة بدأت أفهم لكن ـ للأسف ـ بعد فوات الأوان.. فهمت أنك تتعامل معى ، بل ومع جميع الناس ، بمبدأ واحد.. الخوف أفضل .. ذلك المبدأ العقيم ، الذى لقنوك إياه ، ضمن فلسفة مريضة ، أثناء دراستك فى كلية الشرطة ..
ذلك المبدأ الذى جعلك تفضل أن يخافك الناس ويهابونك ، أفضل من أن يحبوك أو يحترموك .. فبالنسبة لك الخوف أفضل من الحب .. الخوف أفضل من الاحترام ..

فلسفة مريضة تم زرعها بداخلك ـ أنت ومن مثلك ـ مع مزيج عجيب من الغطرسة والغرور ، واستعراض القوة على الضعفاء ، وسوء إستغلال السلطة والنفوذ ..
زرعوا هذه الأمراض بداخلكم ، دون أن يعلموكم كيفية توجيهها، أو السيطرة عليها ، ودون أن يعلموكم أنها مُجديه ، مع فئة واحدة.. ربما لأن زارعوها كانوا مرضى ايضاً ..
المهم أننى فهمت هذا ، وفهمت لماذا يشكو الجميع من ضباط الشرطة ، وقسوتهم وحدتهم وافترائهم وحرصهم الدائم على زرع الخوف تجاههم فى قلوب كل الناس ، حتى المظلومين منهم ..
أدركت هذا وفهمته ، لأنى أحيا مع أحدهم .. زوجى .. الذى ظل يتعامل معى بنفس المبادىء المريضة التى يتعامل بها مع أرباب السوابق ، ولم يعد يفرق بين القاتلين والمجرمين ، وبين أقرب الناس إليه .. أنا .. زوجته ..
وأنا لا أتجنى عليك ، يا زوجى العزيز ..
فأنت بنفسك ، كنت تصرح فى كلامك معى ، ومع الغير أن الإنسان يجب أن يجعل الناس تخافه وتهابه ، بدلاً من أن تحبه ، وكنت تقول دائماً أن الخوف أفضل ، وبالطبع لم أكن أستطيع مناقشتك ، أو معارضتك أبداً ..
أرجو أن تكون قد فهمت الآن يا زوجى العزيز .. وأرجو أن تكون قد فهمت أننى - وطوال العام السابق - كنت أحاول إصلاحك وحملك على التخلى عن هذا المبدأ المريض ، وكنت أصبر وأقاوم، وأنت تحاول زرع الخوف تجاهك فى قلبى ، حتى أكون دائماً خاضعة ، ذليلة عديمة الشخصية، ولم تكن تعلم أن مع كل ذرة خوف كنت تلقيها فى قلبى ، كان حبى لك يذبل ويذبل .. لكنه لم

يمـوت ، حتـى الآن عـلى الأقـل ..
لكنـى لم أعـد احتمـل خاصـةً بعـد مـا حـدث يـوم أمـس ، عندمـا كنـت تسـتضيف فى منزلنـا ، أربعـة مـن زملائـك الضُبـاط ، ثـم إسـتدعيتنى كى أرحـب بهـم وأمرتنـى بالجلـوس ، وقبـل أن أكمـل جلسـتى ، تراجعـت فى رأيـك ، وأمرتنـى بالقيـام ، وتـركك معهـم بمفـردك بإشـارة مـن يـدك دون أن تتحـدث ..
وبالطبـع ـ ولأنى متدينـة فقـط ـ أطعتـك وانصرفـت ، ثـم جائـت الطعنة عندمـا سـمعتك ـ وبالمصادفـة ـ مـن الداخـل ، وأنـت تزهـو أمامهـم بخـوفى منـك ، وطاعتـى العميـاء لـك ، ورحـت تخبرهـم أن الخـوف أفضـل ، وأن زوجتـك تحـت السـيطرة كالعـادة ..
سـاعتها واحـداً منهـم فقـط عارضـك ، وعـارض ذلـك المبـدأ السـخيف، أمـا الثلاثـة الباقـين ، فقـد راحـوا يبتسـمون ، وهـم يهـزون رؤوسـهم بإعجـاب ، و انهالـت جمـل المديـح عليـك كالمطـر ، وأنـت بينهـم ترفـع علـم رجولتـك المزيفـة عـلى جثـة تلـك التـى بـلا ثمـن ..
موقـف بسـيط قـد يبـدو لـك تافهـاً ، لكـن سـاعتها تمـزق قلبـى حسـرةً عـلى كرامتـى ، التـى مـن المفـروض أن تكـون فى حمايتـك ، وبكيـت دمـوع مـن دم لكنـك كالعـادة لم تشـعر بى إطلاقـاً ، لأن كل مـاكان يشـغلك هـو شـعورك بالفخـر، لأن الخـوف هـو مـا يحكـم علاقتـك بزوجتـك التـى مـن المفـترض ، أن تكـون كرامتهـا وأمنهـا وحمايتهـا مسـئوليتك ..
بادلـت معـى الحـب بالخـوف .. والرحمـة بالسـيطرة .. وكل هـذا لأنـك تظـن أن الخـوف أفضـل مايمكـن أن يحكـم العلاقـات بـين البـشر .. لا يـا زوجـى العزيـز .. لا يـا حـضرة الضابـط .. الحـب أفضـل .. صدقنـى الحـب هـو الأفضـل ، فلـو كان الخـوف أفضـل لمـا خلـق اللـه الحـب ،

وجعله شعورا فطرياً فى البشر ..
الحب هو أفضل قاعدة معاملة بين جميع الناس ، ومع جميع الناس .. وخاصة مع زوجتك ..
فلو عودتنى على أن يكون الحب ، هو أساس العلاقة بيننا ، سأكون ساعتها ـ وبإرادتى ـ فى قمة السعادة وأنا أطيعك وأحترمك ، وكنتيجة تلقائية سأبتعد عن كل ما يغضبك ، أو يسىء إليك ، سواءً كنت قوياً أو ضعيفاً ..
أما إن كان الخوف هو أساس العلاقة ، فستحصل أيضاً على الطاعة والإحترام الزائف ، والإبتعاد عن كل ما يغضبك ، لكن كل هذا سيكون مرتبطاً بحالة القوة فقط .. فإن كنت قوياً ستحصل على كل هذا ، أما فى حالة ضعفك ، وعند إنتفاء مبرر الخوف ، ستكون النتيجة مختلفة .. والموقف مختلف ..
فإن كانت هناك ثورة فى الشارع بين الناس ، ضد التخويف والترهيب والإستبداد ، الذى يجرى فى دماء معظمكم مجرى الدم، وكنتم قادرين على قمعها وإسكاتها بالمزيد والمزيد من الخوف ، فها أنا يا حضرة الضابط ثورة أخرى ..
لكنها ثورة بين ذراعيك .. ثورة بين ضلوعك .. ثورة فى بيتك .. ثورة إسكاتها يتلخص فى الخضوع لها والإنصياع لإحتياجاتها .. أما المزيد من التخويف وفرض السيطرة ، فلن يجلب لك إلا خسارة زوجة مازال فى قلبها بعض الحب لك ..
أرجوك يا زوجى راجع نفسك ، وتراجع عما أنت فيه ، وارجع إلى الضمير والدين ، وعاملنى بما يرضى الله ، لأنك ساعتها ستجدنى نعمة الزوجة ، سواءً كنت قوياً أو ضعيفاً ..

وسـأترك لـك القـرار بعدمـا تعاتـب نفسـك وأنـت وحـدك ، وإمـا أن تختـار الإسـتمرار بالحـب ، أو الإفـتراق بالخـوف ، لأن هـذه هـى الفرصـة الأخـيرة ..

وحتـى تتأكـد مـن أنى باقيـة عليـك بالرغـم مـن كل ماحـدث ، سـأخبرك بـشىء ربمـا يسـاعدك عـلى إتخـاذ القـرار ..

بداخـلى جـزءً منـك .. هنـاك طفـل فى طريقه الينـا .. وصدقنى سـأحرص بـكل قـوتى ، عـلى ألا يـتربى إبنـى بعيـداً عـن والـده .. لكنـى وبنفـس القـوة سـأحرص أيضـاً عـلى ألا يكـبر إبنـى ليجـد كل مـا يربطـه بوالـده هـو الخـوف فقـط ..

وسـأحرص أيضـاً عـلى إبعـاده عـن كل طريـق أو سـلطة أو نفـوذ ، يمكن أن يبعـده عـن الضمـير والديـن والأخـلاق ، لأن هـذه الأشـياء فقـط هى التـى تبقـى، وكل مـا عداهـا يذهـب ويفنـى .

زوجتك الغير خائفة

***

obeikan.com

obeikan.com

رهان على صرخة

ليست كل الحروب نيران وقنابل !!

obeikan.com

obeikan.com

أخيراً ساعة الصفر ..
صدرت الأوامر التي طالما إنتظرنا صدورها..
وبعد دقائق معدودة ، في الثانية إلا خمس دقائق ظهراً ، يوم السادس من أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، سنقوم بالإنطلاقة الأولى ..
أنا وزملائي نسور القوات الجوية المصرية ، سنقوم بأول ضربة مفاجئة للعدو الإسرائيلى ، بهدف إحداث أكبر خسائر ممكنة ، فى دفاعات وتحصينات العدو من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتأمين عبور قوات المشاه لقناة السويس ، وإجتيازهم للساتر الترابى المنيع، الذى يسمى (خط بارليف) ، والذى سيتمكن جنودنا من التغلب عليه بوسيلة لم تخطر للعدو على بال ..
ستكون ضربة قاضية لهم ..
بل ضربات ..
إتخذت مكانى فى طائرتى الـ (ميج٢١) سوفيتية الصنع ، والتى نتحدى بها طائرات (الفانتوم) و (الميراج) الإسرائيلية ، والتى تغذيها بهما حليفتها الولايات المتحدة ، وكأن (إسرائيل) هى الإبنه غير الشرعية لها ..
نظرت للسماء فوقى ، وإبتسمت إبتسامة حالمة ، وأنا أتصورها تحولت لساحة قتال مفتوحة ، ننتصر فيها نحن أصحاب الأرض على مرتزقة العدو ، وهم غارقون فى خمورهم ونجاساتهم ، محتفلين بأحد أعيادهم ، والذى يسمونه عيد (الغفران) ، والذى

سنسـميه نحـن - بـإذن اللـه - عيـد النـصر ..
التمـس لهـم العـذر فى احتفالهـم بأحـد أعيادهـم ، ولا يتوقعـون حربـاً مـن أى نـوع ، بعدمـا قامـت القيـادة السياسـية بتنفيـذ خطـة خـداع إسـتراتيجية بارعـة ، بالتعـاون مـع جهـاز المخابـرات العامـة ، ورؤسـاء تحريـر الصحـف القوميـة ، أوهمـت العـدو مـن خلالهـا بـأن الحـرب هـى أخـر مـا يفكـر بـه المصريـون ..
تنهـدت تنهيـدةً حـارة ، وأنـا أرتـدى خـوذتى ، وأغلـق غطـاء كابينـة القيـادة للطائـرة ، وعقـلى يتذكـر لحظـة وداعـى بأخـى منـذ أيـام، قبيل إنضمامـه لرفاقـه فى الفرقـة (٣٩ قتـال) تحـت قيـادة اللـواء (إبراهيـم الرفاعـى) ، أسـطورة الصاعقـة المصريـة ، وأصغـر مـن حصـل عـلى رتبـة لـواء فى القـوات المسـلحة وهـو فى الأربعـين مـن عمـره ، والـذى كلـف العـدو الكثـير مـن الخسـائر منـذ حـرب النكسـة ، وحتـى يومنـا هـذا ، مـما دفـع وزيـر دفاعهـم (مـوشى دايـان) إلى تسـمية اللـواء (إبراهيـم الرفاعـى) وفرقتـه بـ (الأشـباح) !!..
هـذا الرجـل الأسـطورة يقـود أخـى وزملائـه فى مهمتهـم الإنتحاريـة اليـوم ، خلـف خطـوط العـدو ..
أُغلقـت الكابينـة وأطلقـت زفـرة حـارة ، فى نفـس اللحظـة التـى جائـت فيهـا إشـارة الانطـلاق عـبر جهـاز الإتصـال فى الطائـرة ، صاحبتهـا قشـعريرة قويـة ، انتابـت جسـدى بالكامـل ، وأنـا أغمغـم «بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم».. قبـل أن أسـحب عصـا القيـادة لتبـدأ الطائـرة فى التمهيـد للإنطـلاق لهـدف أعتقـد أنهـا تنتظـره كـما أنتظـره ..
ومع بداية حركتها تذكرت أمراً قريباً ..
آخـر أجـازاتى ، ولحظـة وداعـى لزوجتـى وابنتـى الصغيرة ، حـين تعلقت بى وسـألتنى عـن الهديـة التـى سـأحضرها لهـا فى الأجـازة القادمة ..

ساعتها ولأن الأخبار كانت بدأت تتناقل ، أجبتها ..»هذه المره ربما سأحضر لكِ أروع هدية على الإطلاق» .. وصمت لحظة ، وأنا أنظر لزوجتى التى مازالت تبكى ككل مرة عند الوداع ، ثم أكملت كلامى .. «الأرض»

والعجيب أنها لم تسألنى ما الذى أقصده!!! ..

ربما لأنها تثق فى ذوقى وفى كل هدية أحضرها ..

أو لأنها تحب أن تبقى تلك الأرض مفاجأة حتى أحضرها..

لا أعلم !!..

المهم أنها إبتسمت ابتسامتها الطفولية ، ورفعت إصبعيها السبابة والوسطى، صانعة بيدها الصغيرة علامة النصر ، التى علمتها أن تودعنى بها كل مرة، فصنعت العلامة بأصابعى أنا أيضاً كما تعودنا ، والتى تغضب كثيراً إذا فعلتها هى ولم أفعلها أنا رداً عليها..

والأعجب أنها فى أخر محادثة بالأمس وبعد أن إطمأنيت عليها هى وأمها، فى مكالمة قصيرة حتى أترك الهاتف لآخرين ، للإطمئنان على زويهم وسماع صوتهم ربما للمرة الأخيرة ، وأوشكت أن أعيد سماعة الهاتف لمكانها ففوجئت بها تهتف .. «أبى»

أعدت سماعة الهاتف على أذنى ، وقلت .. «نعم يا حبيبتى»

وجاء جوابها الذى جعل قلبى ينتفض .. «لا تنسى الأرض»

تحشرج صوتى ، فحاولت جعله مرحاً وأنا أجيبها .. «لا يمكننى أن أنساها»

وأنهيت المكالمة وأنا أنظر إلى الهاتف ، وأهمس بعينين دامعتين .. «من أجلكِ أنتِ سأحضرها»

تنهدت وأنا أتذكر كل هذا ، بينما بدأت طائرتى فى التحليق ..

وفور أن علت طائرتى السماء ، ونظرت أمامى وحولى ، إرتجت

أعماقى بشده وقد رأيت مشهداً مخيفاً لم أتخيل رؤيته قط !!..

****

كان مشهداً مخيفاً بالفعل !!..
أكثر من من مائتين وعشرين طائرة مقاتلة ، مُقسمة أسراب منظمة ، تخترق دفاعات العدو ، التى أقاموها على أرض سيناء ، بقوة وسرعة لا مثيل لهما!!..
أكثر من مائتين وعشرين مقاتلاً من نسور القوات الجوية المصرية، يقتحمون تحصينات العدو ، بقلوب لا يغزوها سوى الإيمان والقوة والأمل فى نصر الهي، يرهب الصديق قبل العدو ..
خطة رائعة تلك التى وضعها اللواء طيار (محمد حسنى السيد مبارك) ، قائد القوات الجوية ، للسيطرة على سيناء جوياً ، فى حين تقوم بقية أفرع القوات المسلحة بأدوارها..
لذلك كان المشهد مثيراً للرعب والفزع ..
للعدو بالطبع ..
فانتابتني نشوة عارمة ، وأنا أفكر فى كل هذا ، وألقى نظره من أعلى علي الساتر الترابى المنيع ، الذى أطلقوا عليه (خط بارليف).. ذلك السد المنيع ، الذى أقترحه رئيس الأركان الإسرائيلى (حاييم بارليف) ، بهدف فصل سيناء عن الدولة المصرية من ناحية ، ومن ناحية أخرى منع أى عمليات فدائية ، من تلك التى أوجعت الكيان المُحتل طوال الفتره الماضية ، ومنذ حرب الإستنزاف ..
وقد كان سداً منيعاً بالفعل ..
ساتر ترابى ، ملئ بنقاط الدفاع والتحصينات التى يستحيل اختراقها، حتى أن الخبراء السوفيت أجمعوا على أن الوسيلة الوحيدة لإختراق

ذلك السد المنيع هو قنبلة نووية !!..
وبما أن مصر لا تمتلك تلك القنبلة ، فقد كان الأمر من رابع المستحيلات ..
أفقت من أفكارى عندما أخترقت طائرتي أجواء سيناء ، وأطلقت أول قذائفى على أول نقطة من نقاط الدفاع الجوى الإسرائيلية ، وقد شعرت بأن قذيفتى تلك كانت بمثابة إشارة البدء للباقين ، فقد توالت القذائف والإنفجارات ، ودقات قلوبنا تتسارع مع كل هدف يتم تدميره ، أو على الأقل- وبلغة العسكريين - يتم إخراجه من الخدمة ..
وابتسمت فى فخر ، وأنا أرى زملائى وهم يدكون حصون العدو دكاً..
حقاً نحن خير أجناد الارض ..
مقاتلين لا يشق لهم غبار..
وعقول تنافس عباقرة العالم..
فكما أن العدو لديه عقل مثل (حاييم بارليف) ، عندنا نحن عقل (باقى زكى يوسف) ..
المقدم مهندس (باقى زكى يوسف) ..
ذلك القادم من مشروع السد العالى ، والذى بينما كان الجميع يتناقشون حول وسيلة تدمير واختراق خط (بارليف) بالقنابل ، والتفجيرات ، والعمليات الإنتحارية ، راح هو يقترح فكره ملخصة فى كلمة واحدة ..
الماء !!..
مضخات ساحبة دافعه من مياه القناة نفسها تندفع نحو رمال الساتر الترابى ، وتحدث فيه الفجوة المطلوبة !!!..
وصمت الجميع أمام إقتراحه العبقرى !!!..

obeikan.com

وأكيد الآن ونحن نخترق دفاعات العدو يتم تنفيذ تلك الفكرة العبقرية ، التى أنتجها عقل مصرى عبقرى..
وأكاد أرى الذهول والفزع فى عيون الصهاينة ، وهم يرون أكبر ساتر ترابى فى تاريخهم القصير ، ينهار تحت تأثير المياه المصرية !!.. والعقول المصرية !!..
وسط أفكارى رحت أقذف كل النقاط المحددة ، وأدمر حصون وأسلحة العدو المحتل الغاصب ، بينما جائت الإشارة للمهمة الثانية ، وهى ملازمة سرب لواء طائرات (السوخوى ٧) ، المنوط به تدمير الطائرات الإسرائيلية الرابضة فى مطار (المليز) ، شرق قناة السويس ، والذى ما أن اقتربنا منه حتى فوجئنا بطائرتين (ميراج) إسرائيليتين ، فى وجه طائراتنا وطائرات
(السوخوى ٧)..
كان الوضع الطبيعى فى هذا الموقف الصعب ، أن تقوم طائرات (السوخوى ٧) بإلقاء حمولتها من الصواريخ ، حتى تتمكن من مطاردة ومناورة طائرات (الميراج) المعادية ، إلا أن ما حدث كان فى قمة الغرابة !!..
فقد تمسك الأبطال المصريين بحمولتهم من الصواريخ ، حتى يتثنى لهم إتمام مهمتهم الأساسية ، وشرعنا نحن بطائرات (الميج٢١) فى مناورة (الميراج)، إلا أنه وفى تلك اللحظة حدث أغرب ما يمكننا تخيله !!!..
لقد إنسحبت طائرات الأعداء ، وتركت المطار بدون حماية !!..
ربما لأن الجبن جزء لا يتجزأ منهم ..
أو لأن المُحتل دائماً ضعيف ..
لا أعلم..

المهم أن أمامى مباشرةً ، إقترب النقيب طيار (عاطف السادات) من أهدافه هو ومن معه ، وألقوا بصواريخهم على مركز قيادة صواريخ (الهوك) الإسرائيلية الخاصة بالدفاع الجوى حول المطار ، ثم قصف (عاطف) راداراً ، ثم قاموا بتدمير مطار (المليز) تماماً .. وراح (عاطف السادات) أمامنا يدور دورتين كاملتين حول هدفة ، حتى يتأكد من تدميره بالكامل ..

إلا أنه وفجأة وأثناء دوران البطل حول هدفه ، تصيده أحد صواريخ الدفاع الجوى المعادية ..

وأصابه فى منتصف الطائرة مباشرة ..

وإنفجرت طائرة البطل (عاطف السادات) شقيق الرئيس (أنور السادات) ..

انفجرت أمام أعيننا فى مشهد رهيب لن أنساه ما حييت ..

مشاعر مختلطة رهيبة تلك التى شعرت بها فى هذه اللحظة ..

ودمعة ساخنة انسابت ببطئ خارج عينى ، وأنا أشاهد رفاق العمر ، يتساقطون بأقذر الأيادى المُحتلة..

لكنها الحرب .. وثمن الحرية..

فاشتعلت بداخلى نيران الغضب ، ورحت أبحث عن أى هدف للعدو ، بهدف تدميره أو إسقاطه للثأر لكل من فقدناهم فى هذه الملحمة المصرية..

ولكن فجأة حدث ما لم أكن أتمناه ..

فقد أصيبت مؤخرة طائرتى ، بصاروخ مضاد للطائرات ، إنطلق من أحد نقاط الدفاع الجوى ، المنتشرة على أرض سيناء ..

وفقدت السيطرة على الطائرة ، وبدأت فى السقوط .. وتصاعد داخلى غضب رهيب ، وأنا أحاول إستعادة السيطرة عليها ، لأن

هـذا ليـس وقـت السـقوط أبـداً ، بـل هـو وقـت النهـوض والإنتصـار .. وقـت الثـأر ..

وأنـا أرغـب فى الإسـتمرار فى الحـرب حتـى ولـو كانـت نهايتـى هـى المـوت المؤكـد أنـا أقبلهـا ، لكـن ليـس الآن ..

ليس فى بداية الحرب ..

لكن يبدو أن القدر له رأى مختلف ..

فقـد اسـتمرت الطائـرة فى السـقوط ، رغـم محـاولاتى المسـتميتة للسـيطرة عليهـا ، وعندمـا وصلـت للحـد الآمـن ، قفـزت خارجهـا بالمظلـة ، محـاولاً التشـبث بفرصـة أخـرى للحيـاة ، يتثنـى لى مـن خلالهـا محاربـة الصهاينـة عـلى الأرض ، بـدلاً مـن الجـو ..

وقفـزت ، وعـبرت الطائـرة فـوق رأسى وسـقطت ، وفـور ملامسـة قدمـىّ لـلأرض، إنفجـرت الطائـرة وكأنهـا كانـت تنتظـرنى كى تطمـئن عـلى وصـولى ، فصنـع إنفجارهـا موجـه تضاغُطيـة ، أطاحتنـى بعيـداً ، وألقتنـى عـلى الرمـال السـاخنة ، نازفـاً بغـزارة ..

وبعينـين متهالكتـين نظـرت لطائـرتى التـى تلتهمهـا النـيران ، وأنـا أنطـق الشـهادتين، بينـما الرؤيـة أصبحـت تبهـت تدريجيـاً ، وأنـا أغيـب عـن الوعـى تمامـاً ..

ولسـت أدرى كـم بقيـت فاقـداً للوعى ، بـل كل ما أعلمه ، أنى إسـتعدت وعيـي تدريجيـاً ، وقـد شـعرت بـألم رهيـب فى ذراعيّ ، ودهشـة حقيقية مـن ذلـك الوضـع العجيب ، الـذى يتخذه جسـدى !!..

فرحت أفتح عيني ببطأ..

ورغم أن ذهنى لم يستعد صفائه بعد ..

ورغم أن رؤيتى مازالت مشوشة..

إلا أننى فهمت ..

فهمت أنى فى أخر مكان يمكننى أن أتوقعه أو أتمناه !!..

****

لا أنكر إرتجافة خوف سرت فى أوصالى ..
فقد فتحت عينيَ ، لأجد نفسى معلقاً من رسخيَ بسلسله معدنيه فى حائط صلب رطب ، ووزنى كله معلقاً براحتي يديَ ، لذلك كان الألم رهيباً إلى أقصى حد ..
والغرفة نفسها كانت نموذجاً للكآبه والغموض ..
سعلت أنا بقوة ووقفت على قدمى اللتان كانتا مرتخيتان أثناء فقدانى للوعى ، ورحت أتفحص تلك الغرفه المظلمة !!..
غرفة ضيقة يكسوها الظلام ، لها باب وحيد فى مقابلى تماماً ، يتوسط سقفها مصباح صغير خافت ، بالكاد يوضح ملامحها الكئيبة ، ويتوسط أرضيتها الغير مستوية مقعد وحيد صغير نظيف يبدو متناقضاً مع الجدران السوداء المتسخة ، التى ورغم الإضاءة الخافتة استطعت أن أميز عليها لوناً مخيفاً ..
لون الدماء الملطخه عليها !!..
ولم تمر دقائق قليلة بعد إستعادتى للوعى ، حتى انفتح باب الغرفة الحديدى الصغير ببطأ ، جعل قلبى ينتفض بين ضلوعى ، فدخل من خلاله شخص أصلع يرتدى زياً عسكرياً ، ويتبعه إثنان يرتديان نفس الزى مع تفاوت الرتب بالطبع..
ولأن الأمر لم يكن فى حاجة إلى مزيداً من الذكاء ، فقد استوعبت وتأكدت من موقفى على الفور ..
فمع تلك النجمة السداسية ، المعلقة على مقدمات قبعاتهم العسكرية ، وتلك الوجوه القاسية الباردة ، التى لا تحمل أدنى

ملامـح للإنسـانية ، أصبـح الموقـف واضحـاً وضـوح الشـمس ..
لقد وقعت أسيراً ..
وقعت أسيراً فى أيدى الأعداء ..
الإسرائيليين ..
أقذر الأعداء ..
وعـلى الأرجـح أنـا الآن فى أحـد سـجون التعذيـب ، التابعـه لجهـاز المخابـرات الحربيـة الإسرائيليـة المُسـمى (أمـان (..
شـعرت بإرتجافـة خـوف تنبـت فى أعماقـى ، فسـحقتها قبـل أن تظهـر عـلى ملامحـى ، التـى حاولـت أن أجعلهـا جامـدة ، وأنـا أوجـه سـؤالاً لذلـك الضابـط الإسرائيـلى ، الـذى يقـف أمامـى جامـداً ..
«أين أنا ؟»
نطقتهـا بالعربيـة ، وصحـت توقعـاتى بـأنى لـن أتلقـى رداً عـلى هـذا السـؤال ، سـوى جمـود وبـرود ملامحهـم ، فوجهـت سـؤالاً أخـر أكـثر مبـاشرةً ..
«كم بقيت فاقداً للوعى ؟»
لم يتغـير شـيئاً مـن جمودهـم ، وبـرود ملامحهـم ، فسـألت سـؤالاً ثالثـاً مختلفـاً ..
«ماذا حدث فى الحرب ؟»
وهنا حدث شىء !!..
إضطـراب فى ملامـح الضابطـين الأصغـر رتبـة ، رغـم إسـتمرار بـرود ملامـح قائدهـم ، والـذى تكلـم أخـيراً ، بصوتـه الأجـش الخشـن ، وهـو يتقـدم ويجلـس عـلى ذلـك المقعـد الصغـير ، وأجابنـى بلغـة عربيـة ركيكـة اللهجـة .. «القـوات المسـلحة المصريـة اندحـرت أمـام جيـش إسرائيـل الـذى لا يقهـر»

اهتزت أعماقى بشدة أمام إجابتة ، التى لم أكن أثق فيها أبداً ..
فلا يمكن أن يضيع كل هذا الجهد والتخطيط والمعاناة !!..
لا يمكن أن تكون الهزيمة من نصيب مصر فى هذه الحرب !!..
لا يمكن !!..
وزاد شكى عندما بدأ ذلك الضابط فى إستجوابى ..
فقد علم من خلال زيي العسكرى ، اننى نقيب طيار فى سلاح الطيران في القوات الجوية المصرية ، وإستشف أيضاً أنى بحكم رتبتى العسكرية ، أعرف الكثير من المعلومات .. وربما بعض الأسرار..
لذلك فقد راح يسألنى عن كل شىء..
عن القوات الجوية ، والدفاع الجوى ، والصواريخ ، والمطارات الحربية ، والتجهيزات والمعدات ..
سألنى عن كل شىء ، وأى شىء ..
وقد كان متخيلاً ، أنى من الممكن أن أجيبه عن أى شىء ، دون أن يعلم هو وأمثاله أن الموت أهون بالنسبة لى من الخيانة ..
لذلك كانت إجابتى على كل أسئلتة هى الصمت .. الصمت التام ..
ولما أصابه اليأس ـ هو ومن معه ـ من أن يخرج منى بأى معلومة، لجأ للشىء الذى يتفوق فيه ، هو وبنى قومه ..
التعذيب .. التعذيب الشديد ..
ولقد لفت نظرى أمر عجيب ، لم أفهمه فى البداية ..
خُيل لى أن ذلك الضابط كما لو كان فرحاً بعدم إفصاحى عن أى معلومات!!..
بل وكأنه ينتظر ذلك الرفض !!..
كان متلهفاً بجنون لمرحة الإستجواب بالتعذيب !!..
وفيما بعد فهمت ..

فهمت بمجرد أن بدأ فى تعذيبى بنفسه ، رغم وجود المتخصصين فى ذلك الأمر عندهم..
فهمت من نظرات عينيه المتلهفه لرؤية الجراح والدماء !!..
من لهجته الفرحة وهو يقتلع أظافرى بنفسه !!..
من ضحكته الساخرة المريضة وهو يسحب ذراع الكهرباء كى تعبر خلايا جسدى !!..
كل هذا أثبت لى أمراً واحداً .. أنه سادى مجنون ..
كان مصاباً بذلك المرض النفسى الرهيب ، الذى يحول الإنسان إلى وحش يستمتع بتعذيب الأخرين ، وسماع أوجاعهم وآناتهم وصرخاتهم ..
رؤية الدماء القانية ، والجراح التى تنزف ، والعيون التى تبكى هى متعته الأساسية !!..
لذلك ـ ومنذ بداية التعذيب ـ قررت حرمانه من هذه المتعة ..
ولم أصرخ ابداً !!..
بل كنت أبتسم !!..
كان الأمر يتطلب مجهوداً خارقاً ، كى أتظاهر بعكس ما أشعر ، لذلك كانت إبتسامتى خاملة منهكة ، لكنها كانت إبتسامه على أية حال ..
وكانت كافية لإستفزازه ..
وكنت أثناء التعذيب ، أزداد إصراراً على الصمود ، والتحمل مع كل جلدة تمزق ظهرى ، وكل ظافر يقتلعونه ، وكل حرق يشوهوننى به ..
كنت أتاكد من عنفهم وتوترهم وتخبطهم أننا إنتصرنا فى الحرب ، وهم يفعلون كل هذا ، كمحاولة يائسة لإسترداد ما فقدوه ..

وهـذا الأمـل جعلنـى أتحمـل وأقـاوم الألام الرهيبـة المميتـة ، دون أن أطلـق صرخـة واحـدة ، وكل مـا كنـت أفعلـه هـو ترديـد آيـات القـرآن الكريـم ، بصـوت عـالى أثنـاء التعذيـب ..

صحيـح أن الكلـمات كانـت تخـرج مرتعشـة متقطعـة ، مـن هـول الألم ورعشـات دفقـات الكهربـاء ، التـى تـسرى فى جسـدى المُنهـك ، لكـن المهـم أنهـا تعطينـى الصـبر والإحتـمال ، لأن قلبـى هـو الـذى يرددهـا قبـل لسـانى ..

لكن صرخة ضعف واحده لم تنطلق منى ..

لأن هـذه الصرخـة ستشـبع سـاديته ، وسـتجعله يسـتمتع بمـا يفعلـه ، وسـتكون بمثابـة إنتصـار لـه ، وهزيمـة لى ، وقـد كنـت مندهشـاً مـن تلـك القـدرة الرهيبـة عـلى الإحتـمال ، التـى واجهتهـم بهـا !!..

أيـام لا أعـرف عددهـا مـرت عـلىَ فى هـذا الجحيـم ، وكنـت كثـيراً مـا أفقـد الوعـى، مـن شـدة الألم ، فتتـم إفاقتـى إلى مزيـد مـن الأسـئلة والإسـتجوابات والتعذيـب والألم ، فـلا يجـدون منـى سـوى الصمـت التـام وعـدم الـصراخ ، حريصـاً عـلى تلـك الإبتسـامة الباهتـة التـى أرسـمها عـلى وجهـى فى مواجهـة ذلـك الضابـط ..

وهنـا ـ وكـما توقعـت ـ جـن جنـون ذلـك الضابـط السـادى المتوحـش، وهـو يبـدى ذهولـه ، مـن عـدم صراخـى رغـم كل هـذا العـذاب الرهيـب !!..

وزاد التعذيـب ، حتـى يسـمع منـى تلـك الصرخـة التـى تشـبع سـاديته ووحشـيته وجنونـه ، حتـى وصـل لدرجـة نـسى فيهـا الإسـتجواب ، والمعلومـات العسـكرية، والأسرار الحربيـة ، وأصبـح كل مطلبـه منـى ، وهـو يتـولى تعذيبـى بنفسـه ، متمثـل فى كلمـة واحـدة ، يـصرخ بهـا بجنـون !!..

«أُصرخ »
«أُصرخ »
فظننت أنه وصل لقمة وحشيته !!..
وتمسكت أنا برغم إقترابى من الموت ، بعدم إطلاق تلك الصرخة ، التى أصبحت تمثل تحدياً بينى وبينه ، وإعلاناً لإنتصارى إن لم إصرخ..
لكنى كنت مخطئاً عندما تصورت أنه وصل لقمة جنونه .. فقد وصل الضابط لقمة جنونه وساديته بالفعل , عندما أقدم على تصرف يتعدى كل حدود العقل .. وكل حدود الجنون !!..

****

لقد أعلن ذلك السادى لجنوده عن ترقية إستثنائية لمن يجعلنى أصرخ !!..
إلى هذا الحد كان متعطشاً ، لإشباع ساديته الدموية ؟!!..
إلى هذا الحد يمكن أن يتحول الإنسان إلى مسخ مشوه ، لا تجد المشاعر الإنسانية الفطرية طريقاً إليه ؟!!..
وكنت أظنه هو وحده المصاب بالسادية ، إلا أننى فوجئت أنها تجرى فى عروق جميعهم مجرى الدم ، ذلك لأن الجنود كانوا سعداء بتلك التسلية ، التى سيربحون من خلفها ترقية إستثنائية فى ظروف الحرب !!..
وأقاموا رهاناً فيما بينهم !!..
رهان على صرخة !!..
صرخة منى أنا !!..

وكان كل منهم يسعى لكسب ذلك الرهان المريض ، فتفننوا فى تعذيبى وإذلالى ، فكنت على وشك إطلاق تلك الصرخة ، التى لم أعد حتى أمتلك القوة الكافية لإطلاقها ، وعلى وشك خسارة مقاومتى ، وخسارة الرهان ..

لولا لحظة واحدة ..

لحظه فارقة ..

كنت ساعتها فاقداً للوعى وأستعيده ببطأ ، فسمعتهم ـ وهم يظنوننى مازلت فى غيبوبتى ـ يتكلمون فيما بينهم بحديثاً خافتاً ، ,وبحكم معرفتى المحدودة باللغة العبرية فهمت منهم كلمات متفرقه..

(جولدمائير)

«إنقذوا إسرائيل»

إنهيار (خط بارليف)

إسرائيل فى خطر ..

وهنا تأكدت من إنتصار بلادى فى الحرب !!..

وهنا أطلقت صرخة !!..

ليست الصرخة التى يريدونها ، لكن صرخة أردت إطلاقها منذ زمن ..

«تحيا مصر»

كنت أبذل مجهوداً خرافياً ، بعد كل ما عانيت ، حتى أن الدماء سالت من بين شفتى مع صيحتى ، وسعلت بقوة فتناثرت دمائى أكثر على الأرض ، لكننى كررتها بإصرار ، وقد أحسست أن قوتى عادت من جديد !!..

«الله أكبر» «تحيا مصر»

obeikan.com

وسمعوا .. وفهموا ..
وإندفعوا نحوى وعلى رأسهم ذلك السادى ، وراحوا يكيلون لى اللكمات والركلات بعنف وحشى ، وإنهالوا علىَ ضرباً بكعوب أسلحتهم ، وأنا مازلت أصرخ مبتسماً ، ودموع الفرح بالإنتصار تنساب خارج عينىَ ..
«تحيا مصر»
أغبياء إن ظنوا أنهم قد ينتزعون صرختى الآن ، وبعد أن تأكدت من إنتصارنا فى الحرب ، وإستعادة الأرض المُحتلة ، وقد زادنى إحتمالاً ، وقدرة على كتم تلك الصرخة ، التى ينتظرها الضابط وجنوده ، شعورى بأنى ألفظ أنفاسى الأخيرة بالفعل ..
فكيف أصرخ الآن ؟!!..
كيف أصرخ بعدما تحملت كل هذا العذاب ، وأتخلى عن مقاومتى ، وأشبع ساديتهم ووحشيتهم ؟!!..كيف أخسر ذلك الرهان الذى عقدوه على صرختى ، وأمنحهم انتصاراً ، وأُلحق بنفسى هزيمة ؟!!.. كيف وأنا أعلم أن حروبنا القادمة معهم ، ستكون من هذا النوع ؟!!..
ستكون حروب معلقة على صرخة !!..
ومن يتحلى بالصمود ، ويتمسك بالمقاومة ، ويكتم صرخته سيكون هو المنتصر ، أما من يتخلى عن مقاومته ، ويطلق الصرخة أولاً ، سيكون هو المهزوم ..
وخفق قلبى فجأة حتى خُيل لى أنى أسمع نبضاته واضحة ، لأنى من بين أقدامهم ، ومن بين الدماء التى أغرقت وجهى وعينىَ رأيتها ..
رأيت إبنتى !!..

رأيتها أمامى وهى تبتسم !!..
وكأنها علمت أنها لحظة الوداع ، فجائت وهى ترفع يدها الصغيرة بالعلامة التى علمتها وداعى بها !!.. وشعرت براحه وفخر بالغين ، لأنى لم أخذلها وأحضرت لها هديتها التى تنتظرها منى..
الأرض ..
ليس مهماً أن أكون أنا معها .. المهم أن الأرض أصبحت معها ..
هديه لها ولأولادها وأحفادها ، دفعنا فيها الثمن غالياً ، من دمائنا وأرواحنا ، ليحافظوا عليها مُتحدين من أجلها ، ناسين كل ما يمكن أن يفرقهم أو يشغلهم عن حمايتها..
ليت أحفادنا يعلمون بهذه التضحيات ..
الكبار والصغار .. الرجال والنساء ..
المسلمين أحفاد (إبراهيم الرفاعى)..
والمسيحيين أحفاد (باقى زكى يوسف).
ليتهم يعلمون ويتعلمون الإتحاد والتضحية من أجلها ..
من أجل (مصر) ..
تلك الحبيبه التى على حروف إسمها خفق قلبى خفقاته الأخيرة ، وشعرت بروحى وهى تغادر جسدى بسلام لتعود إلى بارئها ، وأنا أرى دمائى على الأرض أمامى ، تسيل تحت أقدامهم ، فإبتسمت لإبنتى إبتسامتى الأخيرة ، وحتى لا تغضب منى ، وبآخر ما أمتلك من قوة ، وسط ضرباتهم الوحشية المُنتقمة ، رفعت يدى لها بتلك العلامه التى ستظل دائماً ـ بإذن الله ـ ملازمه لإسمها وإسم بلادى إلى الأبد .. علامة النصر .. والوداع.

***

obeikan.com

obeikan.com

الفهرس

١.الذى يصنع المعجزات	٩
٢. بالروح بالدم	٢٧
٣. شارع الأحرار.	٤١
٤. كوكب الهمج	٥٣
٥. قيود	٦٥
٦. البلاعة	٧٩
٧. استقالة مذيع أخبار	٩٧
٨. بابانويل يُحبك جداً	١٠٧
٩. الوسام	١١٩
١٠. كروتوبتكا	١٢٧
١١. انقسام	١٤٥
١٢. توتو	١٥٩
١٣. كم أنا رخيصة	١٧٧
١٤. الحب أفضل	١٩٣
١٥. رهان على صرخة	٢٠٣

obeikan.com